التوحيد و المحبة
بين
الأديان الثلاثة



دكتور

محمد عبد السلام العدوي

المكتبة المصرية
للطبع والنشر والتوزيع
٣ ش أحمد ذو الفقار - لوران الإسكندرية
تليفاكس : ٠٠٢/٠٣/٥٨٤٠٢٩٨
محمول : ٠١٢/٣٥٥١٨٤٨

التوحيد والمحبة
بيـــن
الأديان الثلاثة

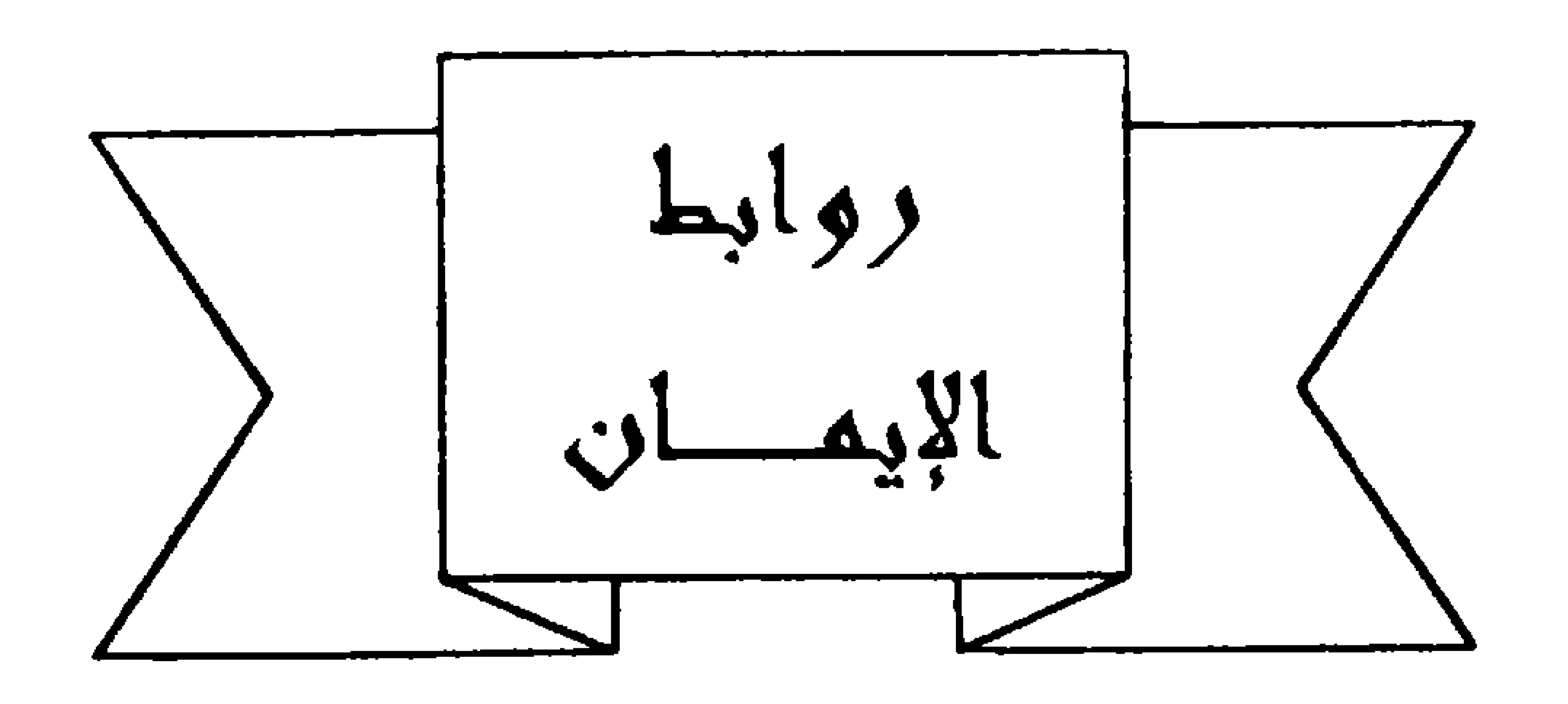
دكتور محمد عبد السلام العدوي

٢٠٠٣م

المحتـــويات

الصفحة

الصفحة



مقدمـــــة

تلعب العقيدة دورا أساسيا في حيـــاة المجتمعـــات والأمـــم ومسيرتها واتجاهاتها ، وقد تنحرف بالأفراد عن العدل والاستقامة إلى الظلم والشرور والآثام ، وقد تستقيم بهم على طريق الخوف من الله والعمل لوجهه وحسن التعامل مع الخلــق كمــا أمــر الله وشرع لعباده لينالوا سعادة في الدنيا ورضا ، وفي الآخرة ثواب عظيم وجنات ، فازدهار المجتمع وطمأنينة الأفراد فيه ، وسعادتهم وتسامحهم ورضاهم بالمقسوم من الرزق مع الســعي والإتقــان والتفاني في الإخلاص في الأعمال وخدمة المجتمع تابع لاستقامة عقيدة كل فرد على ما وضعه الله له من نهج حياة وسلوك قويم ..

وعبادته والخوف من سلطانه بدايات كل ســلوك مســتقيم وعبادة الله حق على العباد أعلنها جميع أنبياء الله ورسله علــى

الناس ، ويحذرهم من السجود لغيره سبحانه وأن لا طاعة إلا له مع الاستقامة على ما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وفي هذا روي عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله : قال حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد علـــى الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا) .

(الحديث رواه البخاري ١٣/ ٣٠٠) في التوحيد)

فعبادة الله وحده دون شريك فرض واجب وشـــكر العبـــاد للمولى عز وجل على نعمه والسعي في الأرض بما ينفع المجتمع ويعود عل الفـــرد بالخير واجب ، وتحقيق السلام والعـــدل بـــين الناس والتحذير من الظلم فلا يظلم أحد أحدا ولا يتعدى أحد على مال غيره ، أو نفسه أو عرضه واجب أمر به الخالق .

قال تعالى : (أفـــحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكـــم إلينـــا لا ترجعون (١١٥) فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العـــرش الكريم (١١٦) ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان لـــه بـــه فإنمـــا حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون (١١٧) وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين (١١٨) سورة المؤمنون .

ولا يستكبر عن عبادة الخالق من في السماوات والأرض..

قال تعالى : (وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١٩) يسبحون الليل والنهار لا يفترون (٢٠) أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون (٢١) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون (٢٢) لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (٢٣) أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون (٢٤) وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (٢٥) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون (٢٦) لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (٢٧) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٢٨) ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين (٢٩)

سورة الأنبياء ج ١٧

وفي بيان ان القران الكريم كتاب الله المنزل علــى احــر الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم حق لا ريب فيه رغم ما يزعم الكافرون ويتقولون .

قال تعالى : (آلم (١) تنزيل الكتاب لا ريب فيــه مــن رب العالمين (٢) أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون (٣) الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون (٤) يدبر الأمر من الســماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون (٥) سورة السجدة .

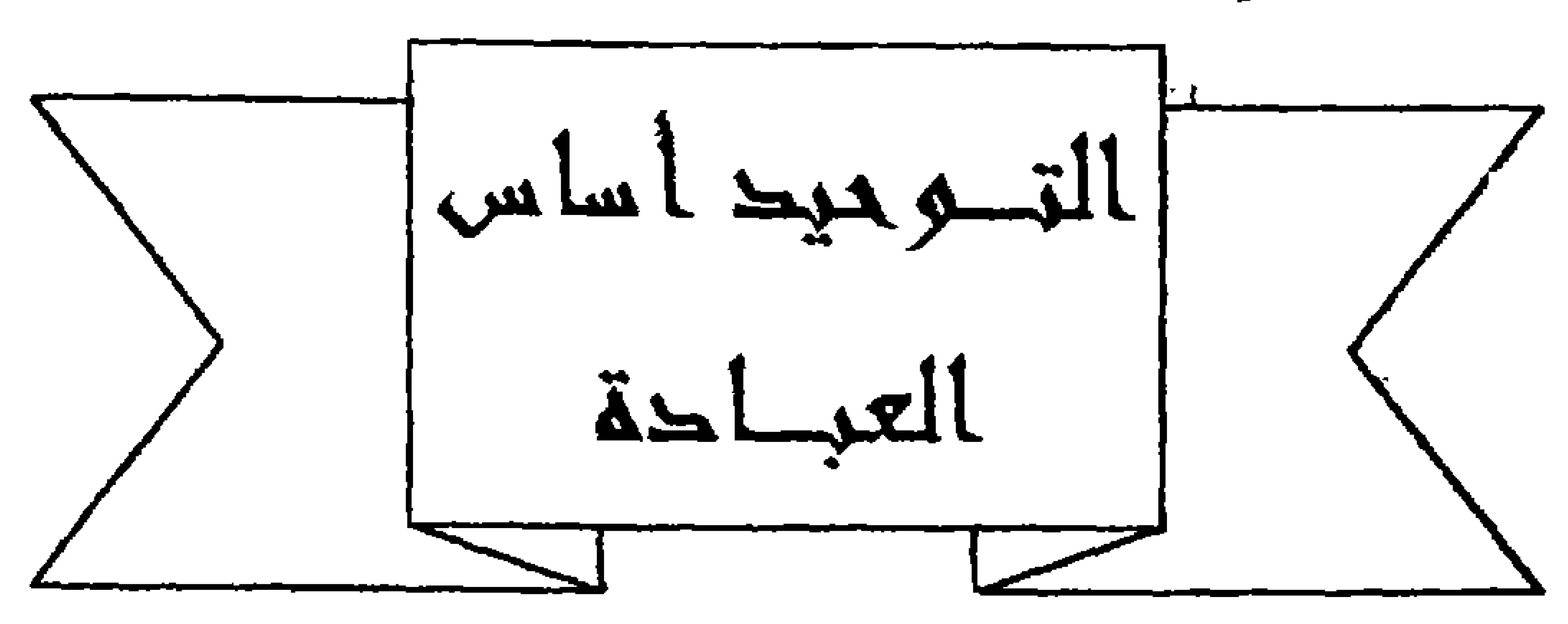
وفي وجوب عبادة الواحد جاء قوله تعــالى (.. إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار (٣) لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصــطفي مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الواحد القهار (٤) خلق الســماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليــل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هــو العزيــز الغفار (٥) خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكــم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعــد

خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأني تصرفون [٦] إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور [١]
سورة الزمر

ومهمة الخلق في الدنيا جاءت في قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون [٥٦] ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون [٥٧] إن الله هو الرزاق ذي القوة المتين [٥٨] سورة الذاريات ج ٢٧

وبهذا تحددت معالم الطريق ولنبدأ بأول واجبات البشرية

الفصـــــــل الأول :



إن أول واجبات بني آدم هي عبادة الرزاق واهـب الـنعم وعبادته توجب الحمد الدائم على عميم نعمه ، وإحسـان العبـادة توجب دوام تسبيحه والتزام أوامره واسـتقامة السـلوك وحسـن معاملة الناس ، فإذا صام العبد وحج كما أمره الله ترسب في نفسه التواضع للناس وتيسير عسر اتهم وعدم التعالي والتكبر والعطف على المحتاج والمعسر والجائع وبهذا يتحقق في المجتمع أسـباب التكافل والتعاون والسعادة في ظل طاعة الخالق صاحب النعم وما الإنسان في الحياة إلا عابر سبيل ينفق من رزق الله الذي يجريـه على يديه .

أما من رفض فعل ذلك وجحد فضل مولاه عز وجل وآثر معصيته وانساق بنفسه حسبما توسوس الشياطين وتسهل وتـزين فعل المعاصي والآثام من قتل وسلب وأكل مال حرام فهؤلاء هم

من صدوا عن سبيل الله وضلوا وفي هذا قوله تعالى : " الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم [1] والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم [2] ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم [3] سورة محمد ج ٢٦

وقال تعالى : (سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم [1] له ملك السماوات والأرض يحي ويميت وهو على كل شئ قدير [2] هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم [3] سورة الحديد ج ٢٧

فالمسلم بذلك يعلن عقيدة التوحيد كاملة ويقر بتوحيد الربوبية لله وتوحيد الإلهية لله وحده دون شريك له في الملك والملكوت بما فيه ومن فيه فهو الذي خلق وهو الذي يدبر أمر ملكه ويسيره كيف يشاء وأنا شاء سبحانه ، ويرفع المسلم صوته بكلمة (لا إله إلا الله) فهي متضمنة كلا التوحيدين (الربوبية والإلهية) ، كما يعلن براءته من عبادة سوى الله ، كما يعلن أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ، وكذلك لا شريك له في الصفات فلا

تشبه صفاته سبحانه وتعالى صفات المخلوقين ، كما يعلن أنه سبحانه لا شريك له في الأفعال فهو سبحانه – وحده خالق الكون ومدبر أموره يسيره كيف شاء ، وفي العبادة : فهو المعبود وحده ولا معبود سواه ، وهو أيضا منزه عن الشبه بالمخلوقين في الجسم وفي الأبوة والبنوة فلا ولد له سبحانه منزه عن ذلك ؛ وليس أبا لأحد تعالى الله عن ذلك .

قال تعالى : (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون [٢٣] هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم [٢٤] سورة الحشر .

وفي آيات سورة الحشر السابقة تجئ تلك التسبيحة المديدة بأسماء الله الحسنى فهي أثر من آثار القرآن في كيان الوجود كله، وهذه الأسماء واضحة الأثر في صميم هذا الوجود وفي حركته وظواهره .

فلكل اسم من هذه الأسماء الحسنى في ذاتها ، بلا حاجة إلى استحسان من الخلق ، والحسنى .. التي توحي بالحسن للقلوب وتفيضه عليها ، وهي الأسماء التي يتدبرها المؤمن ليصوغ نفسه وفق اتجاهاتها ، إذ يعلم أن الله يجب له أن يتصف بها ، وأن يندرج في مراتبه وهو يتطلع إلى دوام القرب .

ولكل اسم من هذه الأسماء الحسنى أثر في هذا الكون ملحوظ وفي حياة البشر ملموس ، وهي توحي إلى القلوب بفاعلية هذه الأسماء والصفات المجيدة .

(هو الله الذي لا إله إلا هو)

ما تقرره في الضمير هو وحدانية الاعتقاد ، ووحدانية العبادة والاتجاه ، ووحدانية الفاعلية من مبدأ الخلق إلى منتهاه .

وحدانية تقيم منهجا كاملا في التفكير والشعور والسلوك تربط الناس بالكون وبسائر الأحياء ، وتحدد ارتباطات الناس بعضهم ببعض على أساس وحدانية الإله .

(عالم الغيب والشهادة)

بها يستقر في الضمير الإنساني الشعور بعلم الله للظاهر والمستور ، ومن ثم تستيقظ مراقبة هذا الضمير لله في السر والعلانية ، ويعمل الإنسان كل ما يعمل بشعور المراقب من الله الخائف من عقابه ، ولو كان في خلوة أو مناجاة ، ويعيش بهذا الشعور الذي لا يغفل بعده قلبه ولا ينام !

(هو الرحمن الرحيم)

بها ومعها يستقر في الضمير البشري شعور الطمأنينة لرحمة الله ، ويتعادل الخوف والرجاء ، والفزع والطمأنينة ، فالله في ضمير كل مؤمن يراقب أعمالهم ، ولا يريد الشر بهم بل يحب الهدى ، ولا يتركهم بلا عون في معركة حياتهم وهم يصارعون الشرور والأهواء .

(هو الله لا إله إلا هو)

يعيدها القرآن في أول التسبيحة التالية ، لأنها القاعدة التي تقوم عليها سائر الصفات الربانية الإلهية .

(الملك) : لا ملك إلا لله الذي لا إله إلا هو .. ليستقر في ضـــمير الإنسانية المعنى . . وإذا توحدت الملكية لم يبق للمملوكين إلا سيد واحد يتجهون إليه ، ولا يخدمون غيره .

(القدوس) : هو اسم يفيض بالقداسة المطلقة ، والطهارة المطلقة، يعكس بمعناه في ضمير المؤمن هذا الإشعاع الطهور ، فيحرص به على تطهير قلبه ليصبح صالحا لتلقي فيوض الملك القدوس .

(الســلام) : وهو اسم كذلك يشيع السلام والأمن والطمأنينـــة فـــي جنبات الوجود ، وفي قلب المؤمن ما دام في جوار ربه فهـــو آمن ، وما دام في رحابه فهو سالم ، ويؤوب القلب من هذا الاسم بالسلام والراحة والاطمئنان ويجنح إلى الموادعة والسلام .

(المؤمن) : فهو سبحانه واهب الأمن وواهب الإيمان ، وهذا من أسماء الله الحسنى يشعر القلب بقيمة الإيمان ، حيث يلتقي فيه بالله ويتصف من خلاله والتعلق به بإحدى صفات الله ، ويرتفـــع إذن إلى الملأ الأعلى بصفة الإيمان .

(**المهيمن**) : والاسم المبارك هذا يشير إلى بدء صفة أخرى في تصور صفة الله سبحانه وتعالى – إذا كانت الصفات السابقة : (القدوس – السلام – المؤمن) صفات تتعلق مجردة بذات الله ، فأما هذه الصفة (المهيمن) فتتعلق بذات الله فاعلةً في الكون والناس ، توحي بالسلطان والرقابة .

وكذلك (العزيز – الجبار – المتكبر) فهي صفات توحي بالقهر والجبروت والاستعلاء ، تقرر سلطان الله على كل ظالم جبار متكبر فلا عزيز بحق قهار جبار متكبر إلا الله .

ومن ثم جاء ختام الآية الكريمة (سبحان الله عما يشركون)

(هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) (٢٤) سورة الحشر .

(هو الله) سبحانه له الإلهية الواحدة ،وليس غيره إلاه ، الخالق البارئ المصور ، ثم يأتي بعد توالي الصفات الإلهية وترابطها ما يدفع القلب الإنساني والعقل لمتابعة عملية الخلق

والبرء (التنفيد والإخراج) لأشكال وألوان المخلوقات كما أرادها الله ببديع صنعته.

(المصور) : صفة الله المرتبطة بالصفتين السابقتين قبلها وتعني قدرة إعطاء الملامح والسمات الشخصية لكل شئ حسب مشيئته .

ثم تأتي خاتمة هذه التسبيحة المديدة بأسماء الله الحسنى بإيحاءاتها ومد لولاتها وفيوضاتها لتقف بنا الآيات عند مشهد وجوب التسبيح لله وانتشاره في جنبات الوجود ، كما ينبعث من كل موجود .

(يسبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) سبحانه وتعالى .

والمجمل في توحيد الله أن يكون أولا توحيدك لله توحيدا بربوبية من عز وجل بأفعاله سبحانه إيمانا بأنه الخالق دون سواه الرزاق دون سواه المدبر لأمور خلقه المتصرف في شئونهم في الدنيا والآخرة ، بلا شريك له في ذلك وقال تعالى :

(إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين [٥٤]سورة الأعراف .

١- والمشركون والكافرون يقرون بأن للكون ربا ولكنهم بإشراكهم في عبادتهم الأصنام والأوثان ورفضهم الإيمان بخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته كافرون خارجون من رحمة الله .

٢- والمشركون بموقفهم قد أنكروا توحيد الإلهية أي إخلاص العبادة له وحده كما لم يقروا أن عبادة سواه باطلة وانه لا معبود بحق إلا الله وفي هذا قوله تعالى : (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب [٤] أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب .[٥] سورة ص

ولقد أبلغ الله نبيه الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم أن ينذر المكذبين له المجادلين والمعاندين الكافرين الخارجين على طاعته فقال تعالى (و إن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح

وعاد وثمود[٤٢] وقوم إبراهيم وقوم لوط . [٤٣] وأصحاب مدين وكــذب موســـى فأمليت للكافرين ثم أخـــذتهم فكيـــف كـــان نكير[٤٤] سورة الحج

وقال تعالى :

(ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) [٤٧] سورة الحج .

وقال تعالى : (قل يأيها الناس إنما أنا لكم نـــذير مبـــين[٤٩] فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم [٥٠] والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم [٥١] سورة الحج .

وقال تعالى :

(الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم [٥٦] والذين كفروا وكذبوا باياتنا فأولئك لهم عذاب مهين [٥٧] سورة الحج .

٣- وهو سبحانه الجليل العظيم (... ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) [١١] سورة الشورى

فلا وصول للأفهام إلى حقيقة كيفية له سبحانه ، كما تعجر العقول والملكات عن الإحاطة بمعاني أسماء الله وصفاته لتفردها بخصائصها وتنزهها وبما لا تحيط به الأبصار ولا تدركه العقول، ولا تشابه بين ما خلق الله في عباده من بصر وسمع وقدره .. وبين نفس الصفات عند الخالق بجلاله ، وقد أخبر الخالق بنفسه عن نفسه بألا تماثل بين ذاته وذوات المخلوقين وصفاتهم فقال عز وجل :(ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) فلا مثل ولا تشابه بين خصائص عظمته وصفاته التي لا حدود لها ولا مجال للتصورات فيها ، ولا يجوز للمفسرين أن يتقولوا بوصف ما لم يروه ولا أطلع عليه غيرهم ، سبحانه له المثل الأعلى والوصف الأعلى وعند إثبات معاني أسمائه سبحانه وتعالى وصفاته وجب إثباتها إثباتا بريئا من التمثيل ، وتنزيهه عز وجل عن مشابهة خلقه ، وأنه واحد لا شريك له ولا شئ مثله ، ولا شئ يعجزه ، ولا إله غيره وأنه (هو الأول والآخر) دائم بلا انتهاء ، لا يفنى ولا يبيد ، ولا يكون إلا ما يريد ، ولا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام ، حي لا يموت ، قيوم لا ينام ، خالق بلا حاجة ، رازق بلا حدود ، مميت بلا مخافة ، باعث بلا مشقة ، مازال بصفاته قديما متقدما قبل خلقه ، وكل أمر عليه يسير ، لا يحتاج إلى

شئ ، خلق الخلق بعلمه ، وقدر لهم أقدارا وضرب لهم اجـــالا ، وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته ، كل شئ يجري بتقـــديره ومشيئته ، مشيئته تنفذ ، وما لم يشأ لم يكن ، والخلق يتقلبون في مشيئته ، بين فضله وعدله سبحانه .

ومضمـــون ذلك :

يوجب الإقرار بتوحيد الإلهية لله سبحانه وتعالى وإعـــلان هذا العمل ظاهرا وباطنا ، وبهذا كانت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يطالبون أممهم بذلك ويحتجون عليهم بما يعترفون به من توحيد الربوبية ، كما قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلـــق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرداني الله بضر هل هن كاشفات ضره وإن أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكـــل المتوكلـــون) . (٣٨) سورة الزمر

١- الإقرار بتوحيد الربوبية مركوز في فطرة بنـــي آدم والكـــل معترف بأن الله هو المنفرد بالخلق والتـــدبير ، والثابـــت أن

توحيد الربوبية محل وفاق والشرك فيه قليل ، ولكن الإقـرار به وحده لا يكفي العبد في حصول الإسلام ،بل لا بد مع ذلك أن يأتي المسلم بلازمة هي توحيد الإلهية ، فمشركي العـرب الذين بُعث فيهم خاتم الرسل محمد صلى اله عليه وسلم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ولم يكونوا بذلك مسلمين لما لم يأتـوا بتوحيد الإلهية ، وبهذا كان أول أمر جاء في المصحف هـو قوله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون [٢١] الذي جعـل لكـم الأرض فراشـا والسماء بناءا وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمـرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) [٢٢]سورة البقرة

والتوحيد بشقيه (توحيـد الربوبيـة - وتوحيـد الإلهيـة) مرتبطان متلازمان لا ينفصلان في دين الإسلام وهما مجتمعـان في كلمة واحدة هي (لا إله إلا الله) والمسلم حين يجهر بالكلمـة فإنه بهذا يعلن للعالم أجمع البراءة من عبـادة سـوى الله وممـن يعبدون أو يشركون مع الله فـي العبـادة أصـناما أو شخوصـا ومخلوقات كما أنه يعلن صراحة للعالم التزامه المطلـق بعبـادة المعبود الحق (الله) وحده يناجيه ويسجد له في كل صلاة ويرجو رضاه وغفرانه .

والإقرار بالإيمان في فهم الكفار والمشركين تعني تمسكهم بعبادة أصنام وأشخاص ومخلوقات شتى وكواكب وبراكين ونيران يناجونها ويسجدون لها ويبتهلون ويعترفون لها بأنها تحي وتميت وترزق وترفع الأذى رغم أنها خلق من بـديع صـنع الله وهـي بكينونتها ضعيفة لا تضر ولا تنفع .. ويتركون عبادة الخالق الحق (الله) .

فجاء الأمر في القرآن الكريم لخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم بتوجيه السؤال لهم لكشف خطئهم وجاء ردهم يظهـر التناقض بين اعترافهم بفضل الله وعظمته ويبين انصرافهم عنـه والتوجه إلى عبادة غيره والسجود .

قال تعالى : (قل من يرزقكم من السـماء والأرض أمـن يملك السمع والأبصار ومـن يخرج الحي من الميـت ويخـرج الميت من الحي ومـن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) سورة يونس (٣١) .

فالمشركون وغيرهم قد اقروا الربوبية إلا أنهم جحدوا ولم يقروا توحيد الله في العبادة كما تدل عليه كلمة (لا إله إلا الله) التي تثبت العابدة من صلاة وزكاة وصوم وحج لله وحده وتنفيها عمن

سواه ولهذا لما طلب خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم من المشركين أن يقولوها امتنعوا وقالوا (اجعل الآلهة ألها واحـــدا إن هذا لشيء عجاب) (٥) سورة ص

لعلمهم أن من قال (لا إله إلا الله) فقد اعترف ببطلان كل ما سوى الله وأثبت العبادة لله وحده ، إذ أن الإله معناه المعبود – والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه ويرضاه من الأعمال والأقـوال الظاهرة والباطنة و من نطق بهذه الكلمة (لا إله إلا الله) وهو مع هذا يدعو غير الله فقد تناقض مع نفسه .

والمعنى انه لا معبود بحق إلا الله فهي تنفي الشرك وتثبت الوحدانية لله ومن اعتقد ذلك وعمل به فهو مسلم حقا ، ومن قالها وتظاهر بالعمل بها من غير اعتقاد في القلب فهو المنافق ، ومن قالها بلسانه وعمل بخلافها فهو الكافر ولو قالها مـــرارا وعبـــدوا أصناما أو سجدوا وابتهلوا لغير الله فهؤلاء هم الكفرة المشركون .

وهذا هو الشرك في العبادة إذ صرفها أو صرف شئ منها لغير الله شرك ، فالذبح لغير الله شرك والدعاء لغيـــر الله شـــرك والعبادة لغير الله والحلف بغير الله شرك والغلو في تعظيم الموتى

والبناء على قبورهم شرك بالله والاحتجاج بما عليه الآباء والأجداد وأنهم ورثوا عقائدهم عنهم وهي حجة يلجأ إليها كل من يعجز عن إقامة دليل مقنع شرك أبسطه أن هؤلاء الآباء الذين يقلدونهم ليسوا على هدى ومن كان كذلك لا تجوز متابعته والاقتداء به .

وفي هذا قوله تعالى : (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا وما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون (١٠٤) سورة المائدة.

وقال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار [٧٢] لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم [٧٣] أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم [٧٤]

قال تعالى :

(ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم

انظر أنى يؤفكون (٧٥) قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم (٧٦) سورة المائدة .

ثم قوله تعالى : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن فيهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (٨٢) وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين (٨٣) سورة المائدة .

وقال تعالى : (بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم (١٠١) ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل (١٠٢) لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣) سورة الأنعام .

ثم نورد البراءة الكاملة لنبي الله عيسى بن مريم مما تقولوا به علينا كذبا ، وأشاعوه بين الناس ليتكسبوا من وراء ذلك عرض الدنيا الزائل من أموال ومناصب بسم الله الرحمن الرحيم : (وإذ

قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس أتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد (١١٧) إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨) قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك هو الفوز العظيم (١١٩) لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شئ قدير (١٢٠) سورة المائدة ج ٧ القرآن الكريم .

ويقولون : (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ) وهم في هذا خاطئون فمشيئة المولى سبحانه بعيدة عن كذب ما يدعون لأنه سبحانه نهاهم عن عبادة سواه وقد رد سبحانه عليهم .

بسم الله الرحمن الرحيم (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (١) إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين (٢) ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم

إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار [٣] سورة الزمر

كما يخطئ من ظن أن من نطق بعبـارة (لا إلـه إلا الله) تكفـي لدخوله الجنة مع ما يفعل أو سيفعل من سئ الأعمال إذ لابـد لمن قالها أن يعمل بها لما ورد في صحيح مسلم من قول خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم : (من قال لا إلـه إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حـرم ماله ودمـه وحسـابه على الله [١]

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قد علق عصمة المال والـدم بأمرين : الأول : قول (لا إله إلا الله) والثاني : الكفر بما يعبد من دون الله فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى بل لا بد مـن قولهـا والعمل بها وقد قيل للحسن رضي الله عنه (إن ناسا يقولون : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، فقال : من قال لا إله إلا الله فـأدى حقها وفرضها دخل الجنة) .

وقال وهب بن منبه لمن سأله أليس (لا إلـه إلا الله) مفتـاح الجنة ؟

---

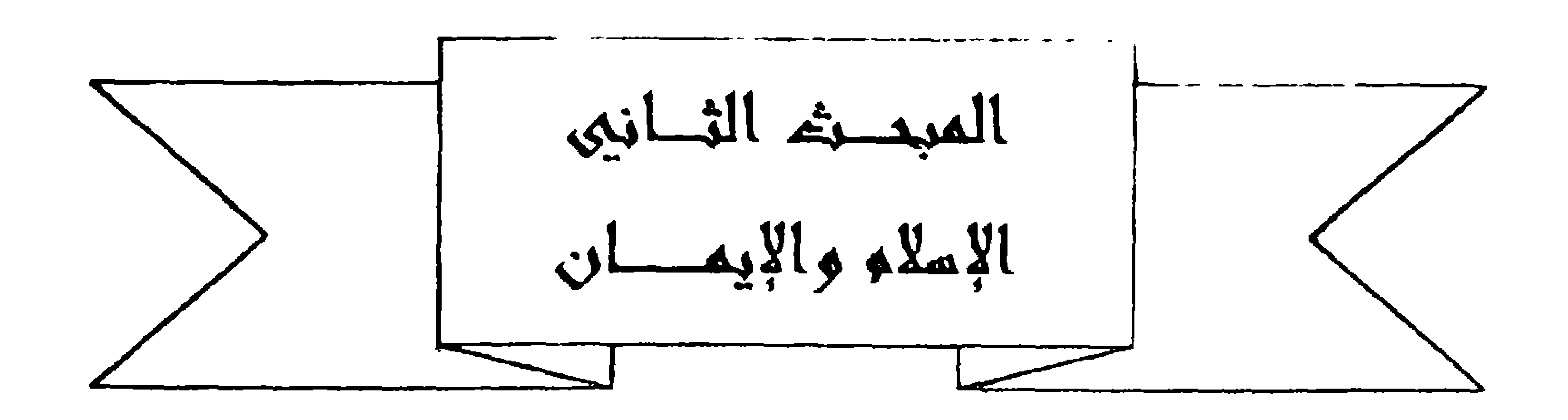
[١] صحيح مسلم (١ ٥٣)

قال : بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح وجاء قوله تعالى في ذلك : (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين [٦٠] وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون [٦١] الله خالق كل شئ هو على كل شئ وكيل [٦٢] له مقاليد السماوات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون [٦٣] قل أفغير الله تأمروني اعبد أيها الجاهلون [٦٤] ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين [٦٥] بل الله فاعبد وكن من الشاكرين [٦٦] سورة الزمر .

وفي مخاطبة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ليقوم بالتبليغ عن ربه فيما انحرفوا فيه وضلوا عبادة مولاهم ، قال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (٢٥) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون (٢٦) لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (٢٧) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٢٨) ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) سورة الأنبياء .

ونعوذ بالله من الشك والشرك والكفر وسوء المنقلب ونحمد الله على الهداية بالإسلام واليقين بتوحيد الربوبية والإلهية إله واحـد قادر نرجو رضاه ورحمته وقبوله أعمالنا وأن تكون خاتمة حياتنا فرحة بلقائه الرحمن القدير سبحانه ، اللهم آمين .

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)(٨) آل عمران



جعل النبي صلى الله عليه وسلم (الإسلام) إسما لما ظهر من أعمال الأفراد ، وجعل الإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد والتصديق ، ليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل لجملة كلها شئ واحد وجماعها الدين والعبادة وطاعة المولى عز وجل .

لذلك قال صلى اله عليه وسلم فيما رواه عن عبد الله عن أبيه عمر بن الخطاب في حديث التعريف بالإيمان والإسلام : (ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) وسنورد فيما يلي كامل الحديث .

على أن التصديق بالقلب والعمل بالأركان يتناولهما اسم (الإيمان والإسلام) جميعا يدل عليه قوله سبحانه وتعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) (١٩) آل عمران ، وفي قوله تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (٨٥) آل عمران فأخبر سبحانه وتعالى أن الدين الذي

يرضاه ويقبله من عباده هو الإسلام ولا يكون الدين في محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل كما جاء في الحديث الشريف :

عن عبد الله بن عمر قال : حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، فقال صدقت : قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال: أخبرني عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال صدقت : فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال : فاخبرني عن الساعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل : قال : فأخبرني عن إماراتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان ، قال :ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر

أتدري من السائل ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم : قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) صحيح مسلم تعريف الإيمان والإسلام صـ ١٥٦:١٦٠

وفي وصف المؤمنين جاء قوله تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذ ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم أياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا) .

وقال سبحانه : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم (٩) دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (١٠) سورة يونس .

فالإيمان تصديق بالقلب وعمل بالأركان وهو عبادة بالطاعات في مرضاة الله الخالق يزيد وينقص حسب زيادة صالح الأعمال أو نقصانها ، لذلك فإيمان الصديقين والصالحين في درجة وغيرهم بحسب أعمالهم في درجة .

قال تعالى : (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا راوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا [١٥] ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا [٧٦] سورة مريم .

وقانا الله شر الضلالة والعذاب ووهبنا خير الثواب ، اللهم امين .

وبعد (فالإسلام) خاتم الأديان والرسالات السماوية لهداية الناس في مشارق الأرض ومغاربها قال تعالى مخاطبا رسوله : (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا [٨] لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا [٩] سورة الفتح .

والعبادة في هذا الدين قائمة على المحبة بين المعبود سبحانه والعباد وفي فضل ذكر الله والتقرب إلى الله بصالح الأعمال وظن إجابة الله عند دعاء عباده ، وظن القبول عند توبة العصاة وظن المغفرة عند الاستغفار إلى الله من الذنوب وبنية عدم الرجوع الى المعاصي واعتقاد أن الله رحيم يستجيب لرجاء عبده

غفور لزلاته ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبـي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : (أنا عند ظن عبدي بـي وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت غليه باعا وإن أتاني يمشي أتيتـه هرولة [١] انظر صحيح البخاري ومسلم وفضل الذكر والتقـرب إلى الله بصالح الأعمال وحسن الظن بالله .

والحديث يدل على لطف وعطف ليس مثلهما عطف ولطف من الخالق على المخلوقين ، كما يدل على حـب يسـمو بـنفس المسلمين ويملؤها إيمانا بالله وتقديرا .

وهو دين لا يكره الناس على الدخول فيه وقد جاء الأمـر من الله بالتسامح مع أهل الأديان والملل والنحل وعدم إكـراههم على اعتناق الإسلام واصبح ذلك قانونا عاما لحكـام المسـلمين على رعاياهم قال تعالى : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى

---

[١] ومعنى الحديث : آلا ييأس العبد من عفو ربه ويتوب عن معاصيه وهو موقن من رحمة الله ومغفرته .

لا انفصام لها والله سميع عليم) (٢٥٦) سورة البقرة الجزء الثالث.

وحتى لا يكون للناس عند حسابهم أمام الله قول بأنهم جاهلون بأنه المعبود الحق ولا سواه .

وأنهم عندما عبدوا الأصنام والنيران والأشخاص والكواكب والحيوان .. لم يكن يعلموا أو لم يبلغوا بالحقيقة ولهم عذر الجهل.

لذلك كانت حكمة الله في إرسال الأنبياء والرسل على فترات حتى خاتم الأنبياء والرسل محمد (ص) وكلهم كانوا ينذرون العصاة بالعذاب ويبشرون المطيعين لما يأمر الله سبحانه بالنعيم المقيم وفي هذا قوله تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه و الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) (٢١٣) سورة البقرة .

وآيات القرآن الكريم تكرر أن الإنسان يختار بمحض إرادته هداه وضلاله ، وأنه يحاسب على جميع تصرفاته في دنياه حسبما شرع الله له من أحكام ، وفي الآخرة يحاسب عن أعماله في حياته ، فإما إلى النعيم وإما إلى الجحيم .

وقد أوحى الله إلى جميع رسله أن يبلغوا الناس أنه وحده سبحانه المعبود بلا شريك قال تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا (١٦٣) ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما (١٦٤) رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (١٦٥) سورة النساء .

وقال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما (١٧٠) يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم

رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم روح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (١٧١) لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيسحشرهم إليه جميعا (١٧٢) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (١٧٣) سورة النساء .

وليس بعد بيان هذه الآيات عذر لمشرك ولا لمتكبر عن عبادة الله الواحد سبحانه ففيها الكفاية لمن أراد أن يهتدي ويرجع عما سوى الله .

والإسلام دين التسامح يخاطب العقول بالأدلة فإن اقتنعت فازت بما وعدها الله من ثواب وأجر ، وإن لم تستجب فحسابها على الله إن شاء عذبها ، وإن شاء عفا عنها ، قال تعالى : (قل يأيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من

المؤمنين [١٠٤] وأن أقم وجهك للـدين حنيفـا ولا تكـونن مـن المشركين (١٠٥) سورة يس .

بهذا جاء أمر الله لخاتم النبيين بتبليغ الناس بالدين الصحيح والعبادة الحقة .. كما قال تعالى : (قل يأيها الناس قـد جـاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضـل فإنمـا يضل عليه وما أنا عليكم بوكيل [١٠٨] واتبع ما يوحي إليك واصبر حتى يحكم الله والله خير الحاكمين [١٠٩] سورة يس .

ويتميز الحكم الإسلامي بالتسامح والحرية الدينية المطلقة في معاملته لأهل الكتاب من نصارى ويهودا وأصحاب ملل ونحل منذ بدايات العهد الإسلامي حتى عهد خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ومن الأدلة على ذلك معاهدة المصطفى (ص) لنصارى (نجران) وجاء فيها :

(ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم (كنائسهم) وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، ولا يغير أسقف أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانتـه ، ولـيس

عليهم دية ولا دم جاهلية ، ومن سأل منهم حقا فلهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين) .

وهذه الوثيقة ظلت تحمل قواعد التعامل السمحة للمسلمين مع أهل الكتاب في جميع الأقطار الإسلامية شرقا وغربا فمعابدهم تحترم ويؤدون شعائرهم الدينية بحرية كاملة حتى عصرنا الحديث.

ونزيد بيانا في هذا التسامح الإسلامي في عهد الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لأهل (إيليا) (بيت المقدس) وسكانه النصارى عهد أمان جاء فيه هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل (إيليا) من الأمان : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها : إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شئ من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن (بإيليا) معهم أحد من اليهود (كما طلبوا) وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية .. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين)) .

و((الجزية)) إنما كانت ضريبة دفاع لا تؤخذ إلا ممن يصلحون للتجنيد وكانوا يعفون منها إذا جندوا ، ولذلك كانت لا تؤديها المرأة ولا الشيخ ولا الصبي ولا الرهبان وكانت زهيدة إذ لم تكن تزيد عن دينار .. غالبا .

ومظهر آخر للتسامح لم يعرف لأي دين ولا لأي أمة قبل الأمة الإسلامية وشريعتها السمحة التي أرست قواعد الوحدة الشاملة للإنسانية والمساواة بين الديانات حسب ما جاء به القرآن الكريم من إباحة الصدقات على فقراء المسلمين وغير المسلمين وعلى من ليس من الملة ، ووعد الله المتصدقين والمتصدقات ثوابا عظيما وجنات تجري من تحتها الأنهار ما دام هدف المسلم المتصدق هو وجه الله مولاه سبحانه وتعالى وطلب رضاه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : سأل رجل الرسول صلى الله عليه وسلم : أي الصدقة أعظم أجرا ؟ فأجابه أن تتصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل (رواه البخاري ومسلم)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال الرسول صـــلى الله عليه وسلم : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وممن ذكره بين السبعة : (رجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه) .(رواه البخاري ومسلم وابن حنبل) .

وقال تعالى : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين العـــاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) (٦٠) التوبة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيـــه : رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء

وقال تعالى : يوفون بالنذر ويخـــافون يومـــا كـــان شـــره مستطيرا (٧) ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا (٨) سورة الإنسان

ومظهر عظيم للأمة الإسلامية وشرعيتها التـــي أرســـلت للوحدة الإنسانية والمساواة بين الأديان الإلهية وغير الإلهية بـــل

وبين الأجناس والأعراف والشعوب مما جعل خاتم الأديان (الإسلام)(بحق دينا عالميا وهذه الحقيقة نورد بعضها مما أرخه صاحب النجوم الزاهرة حيث قال : (كان يجتمع في البصرة عشرة في مجلس لا يعرف مثلهم : الخليل بن أحمد صاحب العروض وهو سني ، والسيد الحميري الشاعر وهو شيعي رافضي ، وصالح بن عبد القدوس وهو ثنوي (على دين ماني) وسفيان بن مجاشع صفري وهو من الخوارج وبشار بن برد الشاعر وهو خليع ما جن ، وحماد عجرد زنديق ، وابن الجالوت الشاعر وهو يهودي ، وابن نظير وهو نصراني ومن جماعة المتكلمين ، وعمرو ابن أخت المؤبذ وهو مجوسي ، وابن سنان الحراني الشاعر وهو صابئي [1]

كما يحكي عن مجالس أخرى مشابهة كان يجتمع فيها العلماء والمتكلمون وأصحاب الملل والنحل في البصرة وفي بغداد يتجادلون ويتحاورون ، مما يصور تسامحا إلى أقصى الحدود تحت سمع وبصر الدولة المسلمة وأصحاب الديانات السماوية وغير السماوية .

---

[1] انظر النجوم الزاهرة : (أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري - دي ٨٧٤ هـ

وفي بغداد تعددت مثل هذه المجالس (وفي جذوة المقتبس للحميدي بترجمة أحمد بن سعدي الأندلسي يقول أنه حضر في بغداد مجلسا جمع بين الفرق كلها وكان ذلك في القرن الرابع الهجري ، وقد ضم المجلس المسلمين من أهل السنة وآخرين من أهل البدعة ، والكفار والمجوس والدهرية والزنادقة ، واليهود والنصارى ،ة وكانوا يتناظرون بالحجج العقلية ومما يحتمله النظر والقياس .

ولا شك أن صور هذه المجالس وحدوثها في قلب المجتمع الإسلامي وتركه لقيامها وإعطاؤه الحرية لها يعكس نموذجا عظيما من صور عالمية الإسلام وانفتاحه على الديانات إلهية ووثنية وعلى الثقافات المختلفة ، ولا ريب في أن هذا التسامح الإسلامي أعلى مراتب السلوك الحضاري على مر الأزمان ، وتحت مظلة الإسلام الناس جميعا أخوة أصلها واحد .

قال تعالى : (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء [١] سورة النساء .

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٩

ويقول عز وجل : (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) الحجرات .

وفي نفس المعنى خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع حيث قال : (أيها الناس ألا إن ربكم واحد وأن أباكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى) .

لقد ساوى الإسلام بين الناس جميعا في الحقوق والواجبات لا فرق في ذلك بين أبيض ولا أسود ولا أمير ولا غني ولا فقير ، كما فتح باب التوبة والمغفرة للتائبين المستغفرين لذنوبهم قال تعالى : (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١٥٣) الأعراف .

وكما أعلن الإسلام المساواة جاء وحي السماء بأحكام في القرآن الكريم تنسخ بعض ما جاء في التوراة والإنجيل من أحكام شديدة أنزلها الله لمعاقبتهم على ذنوب وعصيان اقترفوها قبل

الإسلام فلما جاء خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم كانت مشيئة الله بتخفيف هذه الأحكام وفتح باب التوبة أمام جميع الناس بما يتفق وسماحة وعالمية الرسالة الإلهية للبشرية جمعاء (الإسلام).

وبظهور الإسلام تقول اليهود والنصارى وأعلنوا أن (محمد) لو كان رسولا حقا ما نسخ القرآن كثيرا من أحكام التوراة والإنجيل وقد رد القرآن عليهم فيما زعموا ، قال تعالى :) ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفي بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) [٤٣] سورة الرعد .

قال تعالى : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب [٣٨] يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) سورة الرعد [٣٩] .

وتبين الآيات السابقة أن لا دخل لرسول في نسخ آية بحكم أو استبدالها إنما هي مشيئة الله (و عنده أم الكتاب) مخطوط فيه بدء الخليقة ونهايتها وتصاريفها وأحداثها وعلمه بهذا سبحانه

وتعالى سابق أذلي قد حكم بما شاء في فترات كفر الناس ، وآيات بأحكام أخرى في حالات اهتداء الخلق لما يرضاه جل شأنه ، والأحكام شددها على من عصى وأذنب ، وأحكام تنسخها كما شاء لتناسب المهتدين ورضاه عنهم وهذا وذاك بأمر الله وحكمته .

وفي القرآن الإشارة إلى اليهود والنصارى الذين تابوا وآمنوا واتبعوا خاتم الأنبياء قال تعالى : (والذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون (١٥٧) قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله واتبعوه لعلكم تهتدون (١٥٨) الأعراف .

ونكرر القول بعالمية الإسلام وأن محمدا بعث نبيا للناس جميعا شرقا وغربا في أحاديث الرسول ، عن ابن عباس :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعثت إلـــى النـــاس كافـــة الأحمر والأسود [1] رواه ابن حنبل في مسنده .

وعن بن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثــت إلى الناس كافة) رواه مسلم والبخاري .

ويؤكد ذلك في قوله تعالى : (تبارك الذي نـــزل الفرقـــان على عبده ليكون للعالمين نذيرا [1] سورة الفرقان [2]

وقال تعالى : وما أرسلناكم إلا كافة للناس بشيرا ونـــذيرا [28] سورة سبأ

فخاتم الأديان له صفات العالمية والعدالة والمساواة ونسأل الله المغفرة والرضا إنه سميع مجيب .

---

[1] تسمى العرب الأبيض أحمر

[2] الفرقان القرآن الكريم

المبحث الثالث
ترابط رسالات جميع أنبياء الله إلى البشرية مبشرين ومنذرين

ويتضح وحدة ما دعي إليه الأنبياء والرسل جميعا من عقيدة واحدة يسلم الأفراد فيها للواحد طاعة وعبادة إسلاما واستسلاما من دلالات رحلة الإسراء برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وصلاته ركعتين بجميع الأنبياء والرسل من خلفه في المسجد الأقصى وقد تمت الرحلة المباركة ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الإذن للرسول بالهجرة إلى يثرب بسنة ، ويحدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه : أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بيت أم هاني بنت أبي طالب وأنه صلى الله عليه وسلم ترك فراشه في بيت أم هاني متجها إلى المسجد الحرام ، فلما كان في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاه جبريل عليه السلام بدابة نادرة سريعة هي (البراق) بضم الباء الموحدة ، قال الزبيدي في مختصر العين: هي دابة كان الأنبياء يركبونها وقال ابن دريد اشتقاق البراق من البرق يعني لسرعته ، وقيل سمي بذلك لشدة

صفائه وتلألئه وبريقه وقيل لكونه أبيض ، فركبه النبي صلى الله عليه وسلم فآسري به إلى المسجد الأقصى حيث صلى ومن ورائه جميع الأنبياء ركعتين ، ثم خرج من الأقصى لتبدأ رحلة العروج به إلى السماوات ومناجاة ربه ، ثم يعود به جبريل غلى فراشه في مكة ، ليقص ما جرى من أحداث الرحلة المباركة على أم هـــاني قائلا لها : أسرى بي إلى المسجد الأقصى فدخلتـــه و(مثـــل لـــي النبيون فصليت بهم) [١] .

(١) فلما انتهى صلى الله عليه وسلم من سرد حديثـــه قـــام ليخرج إلى المسجد الحرام فتشبثت أم هـــاني بثوبـــه ، فقال: مالك ؟ قالـــت : أخشـــى أن يكـــذبك قومـــك إن أخبرتهم، قال : (وإن كذبوني) .

(٢) فخرج وجلس إليه أبو جهل فأخبره : حدثنا شيبان بـــن فروخ حدثنا حماد بن مسلمة حدثنا ثابت لبناني عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال : أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل يضع حافره عنـــد منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت ببيت المقدس ،

---

[١] صحيح مسلم ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ن في ظـــلال القـــرآن ص (٢٢١٠ ج ٤)

قال : فربطه بالحلقة التي يربط بها الأشياء ، قال : ثـم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمـر وإنـاء مـن لـبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطـرة (ومعناها اخترت علامة الإسلام والاستقامة لكـون اللبن سهل طيب طاهـر كالإسلام ، ثـم عرج بنـا إلى السماء ...) [1] .

(٣) واختلف السامعون لحدوث الرحلة بين راضٍ ومكذب وثبت الصديق أبو بكر وأعلن تصديقه لرسول الله فيما رواه ، ورد حدوث الرحلة المعتبرية عند القوم في مكة إلى طبيعته وقال : إني أصدقه بأبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء .

(٤) [illegible]
[illegible]
جميع الأنبياء وتطابقوا بنصر ما أبلغوه عـن ربهـم لأقوامهم منذرين ومبشرين متضمنة عقيدة توحيد واحدة : عقيدة بتوحيد الربوبية لله الواحد الخبيـر اللطيـف ، وعقيدة بتوحيد الإلهية للخالق دون شريك ولا شـبيه ،

---

[1] انظر صحيح مسلم (الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض الصلوات (ص ٢١٣)

ولا ولد نزل بها الوحي على النبيين وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام حتى خاتم الأنبياء (محمـــد) صـــلوات الله وسلامه عليه .

قال تعالى

(٥) ((إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإســماعيل وإســحاق ويعقــوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهــارون وســليمان وآتينا داود زبورا [١٦٣] ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليمــا [١٦٤] رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس حجــة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما [١٦٥] سورة النساء.

(٦) وجميع الأديان السماوية طاعات لله وإسلام له ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ، قال تعالى : (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعــا وكرها وإلي يرجعون [٨٢] قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما انزل على إبراهيم وإسماعيل وإســحاق ويعقــوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون [٨٤] ومن يبتــغ

غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخــرة مــن الخاسرين (٨٥) سورة آل عمران .

(٧) ونقول فيمن خلط بين عبودية عيسى ابن مريم ومقــام الألوهية قال تعالى : (ما المسيح ابن مريم إلا رســول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (٧٥) قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم (٧٦) قل يا أهل الكتاب لا تغلــوا فــي دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (٧٧) لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيســى ابــن مريم ذلك بما عصوا وكــانوا يعتــدون (٧٨) كــانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كــانوا يفعلــون (٧٩) سورة المائدة

(٨) وفي رحلة الإسراء بالنبي الخاتم وقد تقدم جميع الأنبياء وصلى بهم إماما ركعتين في المسجد الأقصى فإن ذلك يعني :

(٩) أن الأنبياء جميعا ينتسبون إلى منهج عبادة واحد طاعة واستسلاما للمعبود بحق عز وجل .

(١٠) وأن الدين الإسلامي وهو خاتم الأديان هو دين عبـادة جميع الأنبياء والمرسلين من قبله وأن الرسالة المحمدية رسالة تشتمل على جوهر كل ما دعي إليه جميع الأنباء من طاعات واستقامة في عبادة المعبود الواحد سبحانه منذ خلق آدم حتى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم .

(١١) ولا مجال هنا لسرد ذلك الجدل الطويل تفسيرا طـويلا لواقعة الإسراء برسول الله و العروج به فالذين يدركون شيئا من طبيعة القدرة الإلهية ومن طبيعـة النبـوة لا يستغربون في الواقعة شيئا – فالمعتاد والمرئي في عالم البشرية ليس هو الحكم في تقدير الأمور بالقياس إلـى قدرة الله ، كما أن طبيعة النبوة وما منحها الله من قدرة اتصال بالملأ الأعلى هي كذلك على غير قياس أو عادة لبقية البشر ، وهذه التجلية من الوهاب على أحد خلقـه اختصه بالرسالة والنبوة ، وتسخير وسائل انتقاله مـن مكان إلى آخر بعيد ليس أغرب مما وهبه الله من طرق اتصال بالملأ الأعلى والتلقي عنه سبحانه (سبحان الـي آسري بعبده ليلا من المسجد الحـرام إلـى المسـجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنـا أنـه هـو السميع البصير) سورة الإسراء .

والآية بدأت بتسبيح الله سبحانه متناسبة مــع روحانيــات الصلة والصفة بين عبد مرسل في حضرة مــولاه وخالقــه ، ورغم عظم دلالات هذه الرحلة المعجزة لم ينتهزها المسلمون للتقول على الله بخلع صفة الألوهية على محمد صلى الله عليه وسلم أو ادعاء القربى كما فعل شعب المسيح عيسى بن مريم والذين وصفوه بالإله وابن الإله لمجرد غرابة مولده وعجائب معجزاته ونسوا أنه لا فضل له في حدوثها فقد أجراها الله على يديه وبأمره ، كما أن مولده جاء بالكيفية التي أرادها الله له ، ولا يجيز هذا لأحد ادعاء ألوهية عيسى بن مــريم أو ادعــاء قربى له عند الخالق سواء ما فعلوا وكفروا بخلطهم بين مقامين عبودية لا تتعدى حدودها وألوهية تتنزه عن الشبيه والمثيــل . قال تعالى : (ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنمــا يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) [١٥] ســورة الإســراء . صــدق الله العظــيم

سبحانه وتعالى لا إله إلا هو مالك يوم الدين . ونحن لا نعز إلا في طاعته ، ولا نعيم إلا في قربه ، ولا صلاح القلوب إلا في إخلاص العابدة لعظمته وتوحيد حبه ، سبحانه كتب علــى خلقــه

الحياة والموت لتكون لهم فترة اختبار لطاعتهم فيما أمر ونهى ، سبحانه هو الله الواحد الفرد غفار الذنوب الرحمن الرحيم بخلقه ، أقرت له بالألوهية جميع الكائنات وهي دائمة التسبيح والحمد له شكرا على نعمائه وما أودع فيها من عجائب صنعته ، سبحانه لاشريك له في ربوبيته ولا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ، سبحانه بيده مقادير أمور من في السماوات ومن فوق الأرض وما تواجد في جوف بحر أو تحت الثرى أو في رحاب سماء نجوم وأفلاك وكائنات وكل رطب ويابس وكل حي وساكن يحمدون نعمه ويناجونه سبحانه : (يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير) (١) التغابن.

سبحانه : تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) [٤٤] الإسراء .

وفي سورة الذرايات قال تعالى : (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون [٤٨]ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون[٤٩] ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين [٥٠] ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين [٥١]

كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون (٥٢) أتواصوا به بل هم قوم طاغون (٥٣) فتول عنهم فما أنت بملوم (٥٤) وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين (٥٥) وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥٦) ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (٥٧) إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (٥٨) فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون (٥٩) فويل للذين كفروا من يـومهم الذي يوعدون (٦٠) سورة الذاريات ج ٢٧

سبحانه وتعالى بعث أنبياءه إلى الناس ليقـيم بهـم علـيهم الحجة فليس للعباد بعدهم إدعاء عدم العلم بما يأمر به سبحانه أو بما ينهاهم عنه ولا يحق لهم أعذار جهل أو انحراف عن منهجـه في عبادته سبحانه خالق الكون بكل ما فيه من كائنات وأسرار ، وهو سبحانه واجب التوحيد الواحد ، وهو المعبود جل شأنه .

وقال تعالى : (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فـرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا (٥٣) وهـو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قـديرا (٥٤) ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكـافر على ربه ظهيرا (٥٥) سورة الفرقان ج ١٩

وقد جاءت رسالات الرسل وأنبياء الخالق إلى العباد بما أوحاه سبحانه وتعالى لهم وتضمنته كتب الوحي إليهم صحف إبراهيم – وزبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وقرآن محمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة وأفضل التسليم .

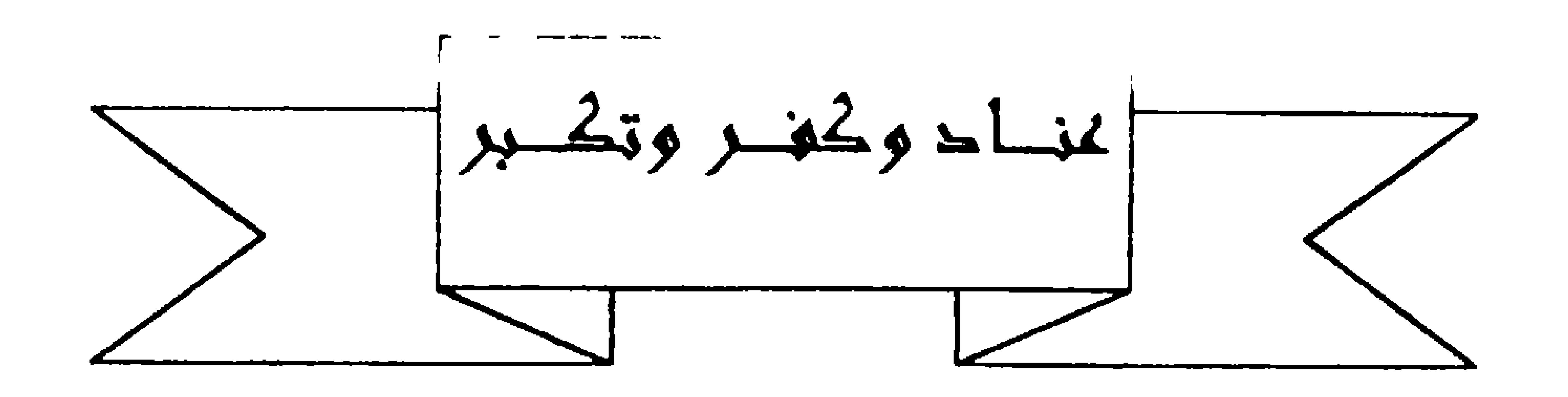
وحقيقة الرسل أنهم بشر وأنهم عباد الرحمن يوحي لهم ما يوحي ليعلنوا للناس كافة أن الإله المعبود واحد له سبحانه القصد وطلب العفو والعمل الصالح والتسبيح بحمده والشكر الدائم على عميم نعمه وجليل فضله وواسع رحمته .

وقال تعالى : (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون (٦٧) ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم ينظرون (٦٨) و أشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتب وجئ بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون (٦٩) ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون (٧٠) وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا

بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين [٧١] قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين [٧٢] وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين [٧٣] وقالوا الحمد لله صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين [٧٤] وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين [٧٥] [١] .

عصيان البشر لأوامر الله تكبر على الله ، وعصيان البشر لرسل الله وما بلغوه عن ربهم من أنه : الواحد سبحانه ، الخالق سبحانه ، الرحيم سبحانه ، الرحمن سبحانه ، ليس له صاحبة ولا ولد سبحانه ، منزه عن كل وصف سبحانه وتعالى لا شريك له في ملكوته ، الملك والملكوت بيمينه يسيره كيف يشاء هو تكبر وعصيان .

الآيات من سورة الزمر ج ٢٤ القرآن الكريم



ورغم تحذير الأنبياء من إشراك غير الله في ملكه أو السجود لغيره ووجوب شكره وتبليغ جميع رسل الخالق هذا للبشرية وتأكيده على مر العصور ، فالكثيرون من بني آدم لا يزالون لا يقتنعون ومستمرون في السجود لأصنام ومخلوقات ينشدون لها ويحتفلون ، وما أرسل الله رسله إلا رحمة بعباده وتأكيد بالحجة عليهم ومنحهم الفرصة للتراجع والاستغفار وطلب عفو المولى عز وجل عنهم ، وتأكيد صحيح الأفعال الواجبة على العباد، وأن السجود لا يكون إلا للمعبود ، وهو الواحد. جل شأنه وما عداه باطل ، ومن اعتقد غير هذا فهو مع زمرة المعاندين الكافرين وهم أيضا الظالمين لأنفسهم المتسببين في عذاب أجسامهم الدائم في نار جهنم التي وقودها الناس والحجارة أعدها الله للمتكبرين الظالمين نستعيذ الله بعظمته منها ومنهم اللهم آمين .

وهؤلاء الذين يستعذبون الباطل رغم أن الحق ظاهر والطريق إلى الله وكسب محبته ورضاه واضح نسألهم : من هو المنعم على الخلائق بالهبات والعطايا والأقوات ؟

من هو الخالق لما في الفضاء وما تحت الأرض وما فوقها ، وما حوته أعماق البحار ؟

هل هو ذلك الحجر الذي نحتموه ثم عبدتموه ؟ أم هو ذلك البقر الذي قدستموه ؟ أم أنه ذلك الذي أصابه الأذى وامتدت إليه الأيدي بالإهانة والقتل ومع علمكم ألهتموه وركعتكم أمام تماثيلــه تتضرعون وتبتهلون ؟ ..

ثم نقــول ما هو التفسير المنطقي وما توحيه لكــم هــذه الاستمرارية الدقيقة وهذا النظام المحكم في الكون تحــولا أدواراً وأطوارا،ومراحل نمو وتكاثر ، وفي نظام كوني شــمس وقمــر ونجوم سابحات تتلألأ وتخبو ورياح عاتيات ونسمات وعواصف ورعود وسحاب مطير وسيول ؟ تتحرك بأمر من ؟ وتثور بــأمر من ؟ وتسكن بأمر من ؟

ونردد لهم الإجــابة : إن كل ما في الكون مســير بــأمر الواحد الحي جل في علاه سبحانه رسم للخليقة جمعــاء دورهــا بداياتها ونهايتها حسب مشيئتها وما قدره لها ، فإن أدت والتزمت بالأوامر وأطاعت استقامت وفازت .. وهؤلاء هم المؤمنون حقا

العالمون يقينا العابدون الذين زادهم سرا مـــا فهمـــوا وعرفـــوا افتقارهم إلى مولاهم عز وجل .. وقد تضـــاءلت فـــي نفوســـهم صالحات أعمالهم أمام رعاية الله ورضوانه عنهم .

فازدادوا إخلاص عبادة وحمدا للـــنعم والتماســـا لمـــولاهم بالصفح عن الزلات متوجهين بالدعاء طلبا للرضا ، وتواصـــلوا بالقلب إلى مولاهم فاجتهدوا في عبادته وشكره بأداء ما افترضـــه عليهم وداوموا يخلصون ويشكرون حتى حازوا مراتب المقربين له سبحانه ثم طاولوا منزلة المحسنين وقد تشاغلت أرواحهم فـــي إرضاء المحبوب عملا وعبـــادة وحمـــدا وتطابقـــت أرواحهـــم وحركاتهم وسكناتهم مع نبع إخلاص طاعتهم ومحبـــتهم للســـميع القريب .. عبدوه دون سواه ، أطاعوا أوامره ونواهيه .. ومـــن تمام الرضا بالله ربا وجوب الاستسلام له سبحانه ، ولقد استسلموا ففازوا ، ومن يؤمن بالله ويسلم يهد قلبه إلى سكينة ونعيم مقيم .

وإذا كان الإحسان هو فعل العبد للحسنات مع إخلاص الدين لله فإن كمال العبودية للمعبود هو نتيجة لكمال هـــذا الإخـــلاص، وكلما زاد العبد تحقيقا لهذه العبودية ازداد كماله وعلت درجته في رحاب لقاء ربه .

بسم الله الرحمن الرحيم : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحـــدا) [1] (١١٠) ســـورة الكهف .

سبحانه (له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمـــن يشاء ويقدر إنه بكل شئ عليم [١٢] شرع لكم من الدين ما وصـــى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تـــدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب [١٣] [2]

بذلك، فالعقيدة الواجبة على بني آدم واحدة والـــدين الـــذي يْجمعهم واحد والمنهج الذي فرضه رب العباد واحد والواجب أن يلتزمه كل العباد .

وعلى هذا وبهذا جاء وحي السماء على الأمم وانتهي إلـــى أمة آخر الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وسلم ومـــن قبلـــه وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى وكلهم قد أمروا بإقامـــة

---

[1] (١١٠) سورة الكهف

[2] سورة الشورى ج ٢٥

دين الله وألا يتفرقوا فيه ، وأن يعلنوا ذلك للناس ويدعوهم إليه فلا يعبدون سواه وألا يشركوا معه وألا يسجدوا لغيره " بسم الله الرحمن الرحيم " ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون (٣٧) فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون (٣٨) ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وإن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير (٣٩) سورة فصلت .

إنه الله الذي لا إله إلا هو ، الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الرزاق العظيم الوهاب الغفور العليم المحيي المميت الحي التواب الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام .

والعباد تذنب وتخطئ ولا ملجأ لها إلا الله ، وهو غفار الذنوب رحيم بعباده ، باب رحمته مفتوح للتائبين والعاصين كلما رجعوا إليه نادمين مستغفرين يقبل عثراتهم ويتوب عليهم ويصفح ، روي أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال

الله : (يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو آتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) [١]

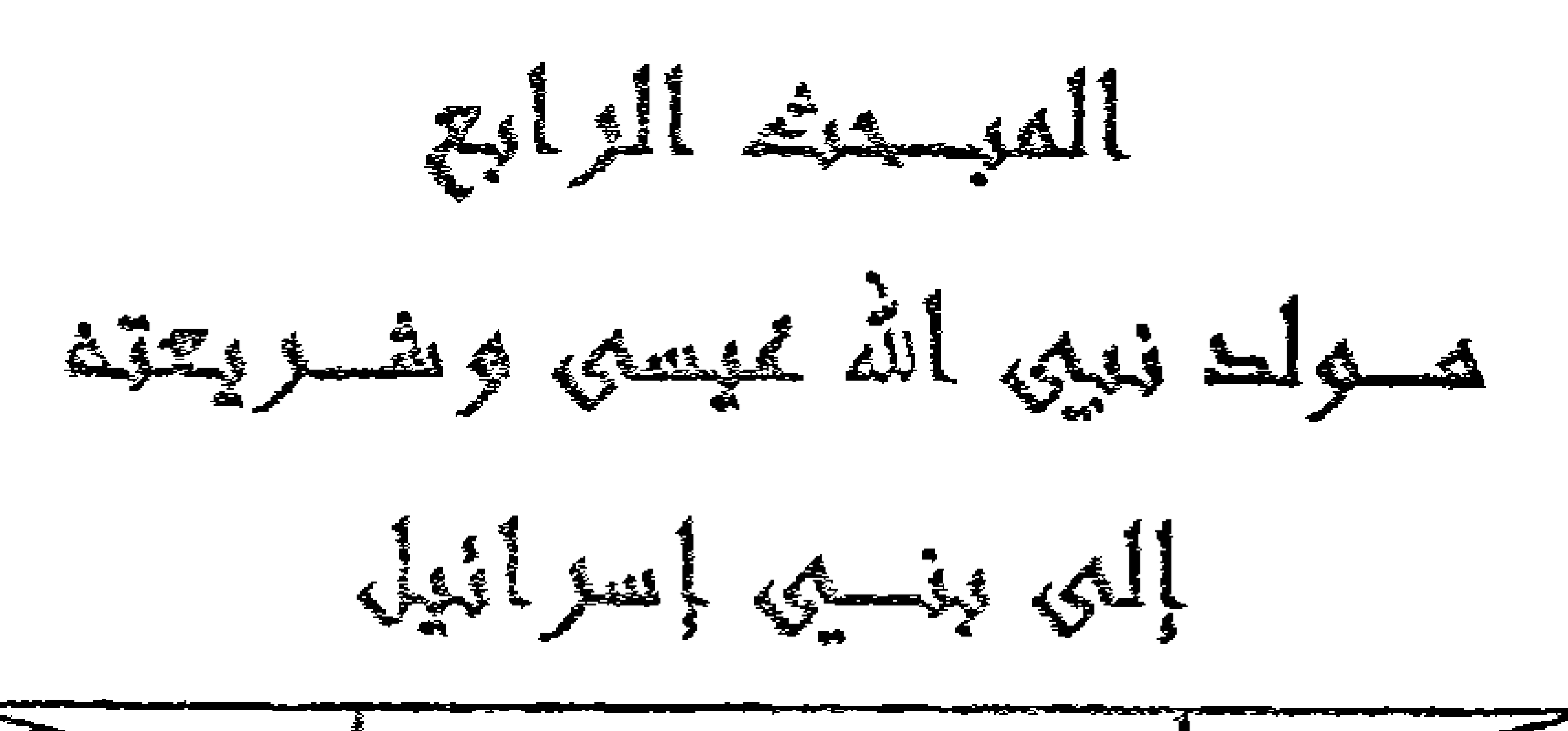
وأولياء الله هم عباد الله المخلصين الذين تقربوا بالأعمال النوافل فأحبهم وأصبح لهم حصنا وحاميا ودليل ذلك حديث مصطفى محمد (ص) روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله "عز وجل" قال : من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ،، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني [٢] لأعيذنه ، وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته)[٣] .

---

[١] بقراب الأرض : بما يقارب حجم الأرض ، بقرابها مغفرة : بما يقارب حجمها مغفرة والحديث رواه الترمدي باب فصل التوبة .

[٢] استعاذني : التجأ إلي واعتصم بي وقال : أعود بالله من الشيطان الرجيم حصنته بأسمائي وحفظته من الشرور

[٣] كره مساءته : كره ما يسئ لعده وما يصاحب خروج روحه من آلام فيخفف عنه ويرحمه



المصدر الموثوق به الذي سوف نستوضح منه المولد والشريعة هو القرآن الكريم ونبدأ

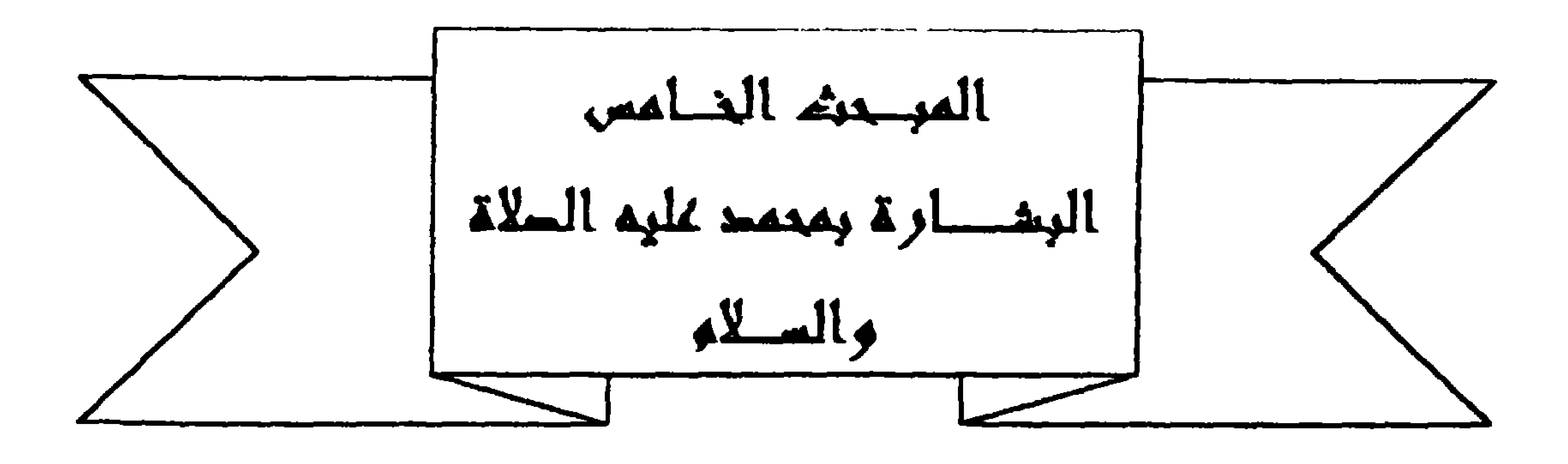
بسم الله الرحمن الرحيم (قال تعالى) :

إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين [٤٥] ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين [٤٦] قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون [٤٧] ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل [٤٨] ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الاكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين [٤٩] ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله

وأطيعون [٥٠] إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم [٥١]
آل عمران ج ٣

بهذا حددت الآيات القرآنية شريعة نبي الله عيسى لبني إسرائيل وأن كرامته ومعجزاته كانت بأمر الله الخالق ، كما أمرهم بالطاعة قائلاً لهم (إن الله ربي وربكم فأعبدوه هذا صراط مستقيم) وكانت من عادات اليهود مسح الأنبياء والملوك والعلماء بزيت مقدس للدلالة على أن الممسوح مختار من الله لأداء رسالة مقدسة ، وكانوا ينادون كل نبي فيهم بلقبه (مسيح الله) ومسيح الله أي الرئيس أو بالعبرية (جيهوفاه أو السيد) .

وكلمة المسيح في اللغات التي لا توجد فيها الحاء تنطق (مسيا) ولقد تحدث عيسى عن نبي الإسلام وسماه (بيراكليت) أي أحمد ووصفه بالروح القدس أي المنتسب إلى الله القدوس الطاهر [١] يوحنا ١٤- ٢٦



المبحث الخامس
البشارة بمحمد عليه الصلاة والسلام

الأمر الواضح الذي يخالف فيه إنجيل (برنابا) الأناجيل الأخرى هو البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد ورد في إنجيل (برنابا) نصوص كثيرة في البشارة بمحمد :

١- في الفصل التاسع والثلاثين أورد : (لما انتصب آدم على قدميه رأي في الهواء كتابة تتألق كالشمس ، نصها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ففتح حينئذ فاه وقال أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت علي فخلقتني ولكن اضرع إليك تنبئني ما معنى هذه الكلمات ، محمد رسول الله ؟ فأجابه الله : مرحبا بك يا عبدي آدم ، هذا الذي رأيته إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة وسيكون رسولي .

٢- وفي الفصل الثاني والأربعين من إنجيل برنابا يجيب يسوع حين سأله بعض الكهنة عن (المسيا) فأجابهم عيسى: هو الذي خلق قبلي وسيأتي بعدي ، وسيأتي بكلام

الحق، ولا يكون لدينه نهاية وتكررت الإشارات في إنجيل (برنابا) عن خاتم الأنبياء ورسول الله إلى أمم الأرض .

١- في الفصل الثالث والأربعين قال يسوع لتلاميذه : (الحق أقول لكم إن كل نبي جاء فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمه الله ، لذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه ، ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض ..).

٢- وفي الفصل الرابع والأربعين من إنجيل برنابا يؤكد عيسى سعادته برؤيا خاتم الأنبياء يقول : (ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه (أحمد) (براكليس) إلى العالم ، صدقوني إني رأيته كما رآه كل نبي لأن الله يعطيهم روحه ، ولما رأيته امتلأت عزا ..) .

٣- وفي الفصل السابع والتسعين : (إشارة إلى خاتم الرسل والأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم : قال يسوع إن كلامكم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور ، ولكن تعزيني في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب في ، وسيمتد دينه ويعلم العلم بأسره ،لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم ، وإن ما يعزيني هو أنه لا نهاية لدينه ، لأن الله سيحفظه صحيحا) .

ونكتفي بهذه النصوص بشارة من عيسى نبي الله إلـــى بنـــي إسرائيل بمقدم خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وســـلام الـــذي يحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض .

وجحود بني إسرائيل برسالتي المسيح عيسى بـــن مـــريم وبخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم جاء في قوله تعـــالى : بسم الله الرحمن الرحيم (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التـــوراة ومبشـــرا برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هـــذا سحر مبين (٦) ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعي إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين (٧) يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون (٨) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلـــه ولـــو كـــره المشركون (٩) سورة الصف .

وفي هذه الآيات الكريمة مـــن قـــرآن الله المنـــزل علـــى المصطفى أحمد صلى الله عليه وسلم رد على كل من يفرق بـــين رسالات الخالق إلى خلقه بواسطة أنبيائه الموكلون بإبلاغ أوامره للهداية ووجوب الطاعة وإخلاص العبادة له الواحد عـــز وجـــل

ودوام الحمد له على ما تفضل به على الخلق من نعـم وملكـات وبركات وعافية وسعادة .

قال تعالى : (أفغير دين الله يبغون ولـه أسـلم مـن فـي السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون [٨٣] قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل علـى إبـراهيم وإسـماعيل وإسـحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون [٨٤] ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين [٨٥] سـورة آل عمران .

بهذا وبـما توضـحه الآيـات مـن كتـاب الله المنـزل (القرآن) الكريم .

كان الواجب على كل العباد والملتمسين رحمـة الإلـه ألا يتفرقوا وأن يجتمعوا على منهج واحد ودين واحد ولكن ... !!

ولو رجعنا إلى ما أثبته التاريخ عن اليهود شعب نبـي الله موسى ثم عيسى عيه السلام نقول : لقد لقي اليهود بعد سليمان من

الذل والهوان ما لقوا فقد تعاقـب الغزاة عليهم ووقع اليهود فيمـا وقعوا فـي أسر مملكة (بابل) فـي عهد الملك (بختنصر عام ٨٦ ق.م) الذي أحرق هيكلهم ودمر مملكتهم وقتل وغـنم واسـتحيا نساءهم واستمر هذا حالهم إلى أن ظهر ملك الفـرس (قـورش) مؤسس الإمبراطورية السامانية الذي ناصر بني إسـرائيل وفـك أسرهم وعاش اليهود فترة حرية دامت إلى أن سـيطر الرومـان فعاودهم الاستعمار والذل والقتل واستباحة حرماتهم ومـع الآلام تتطلع اليهود إلى منقذ إلى مسيح منتظر يفك الغمة ويعيد الحريـة وقد تحقق ظنهم ، فقد بعث الله نبيه (عيسى بن مريم) بالكيفية التي أرادها سبحانه لولادته وبمعجزاته منقذا للشعب اليهودي وموجها لهم إلى عبادة (المعبود الواحد) سبحانه [١]

وكان هاديا للشعب اليهودي يرفع صوته بينهم معلما قـائلا في هيكلهم : (أنتم تعرفونني وتعرفون من أين أنا ! وأنا لم آت من عند ذاتي ، ولكن الذي أرسلني هو حق وأنتم لا تعرفونه أما أنـا فأعرفه) [٢] .

---

[١] انظر سفر الملوك الإصحاح الأول ٢٥ — ٢٤ (مسيح : مخلص يحرر شعب بني إسرائيل)

[٢] الانجيل كما دونه يوحنا (٧) ص ١٤٥ ط ٨٢

وقال عيسى :

(إن عطش أحد فليأت إلي ويشرب .. من آمن بي تجري من داخله أنهار ماء) .

(أنا نور العالم ، ممن يتبعني فلا يتخبط في الظلام بل يكون له نور الحياة)

ولكنهم لم يفهموا مقاصده ورد الفريسيون "الكهان اليهود" عليه فقالوا : (أنت الآن تشهد لنفسك فشهادتك لا تصح ، فأجابهم المسيح : مع أني أشهد لنفسي فإن شهادتي صحيحة ، لأنني أعرف من أين أتيت وإلى أين أذهب ، أما انتم فلا تعرفون [١] .

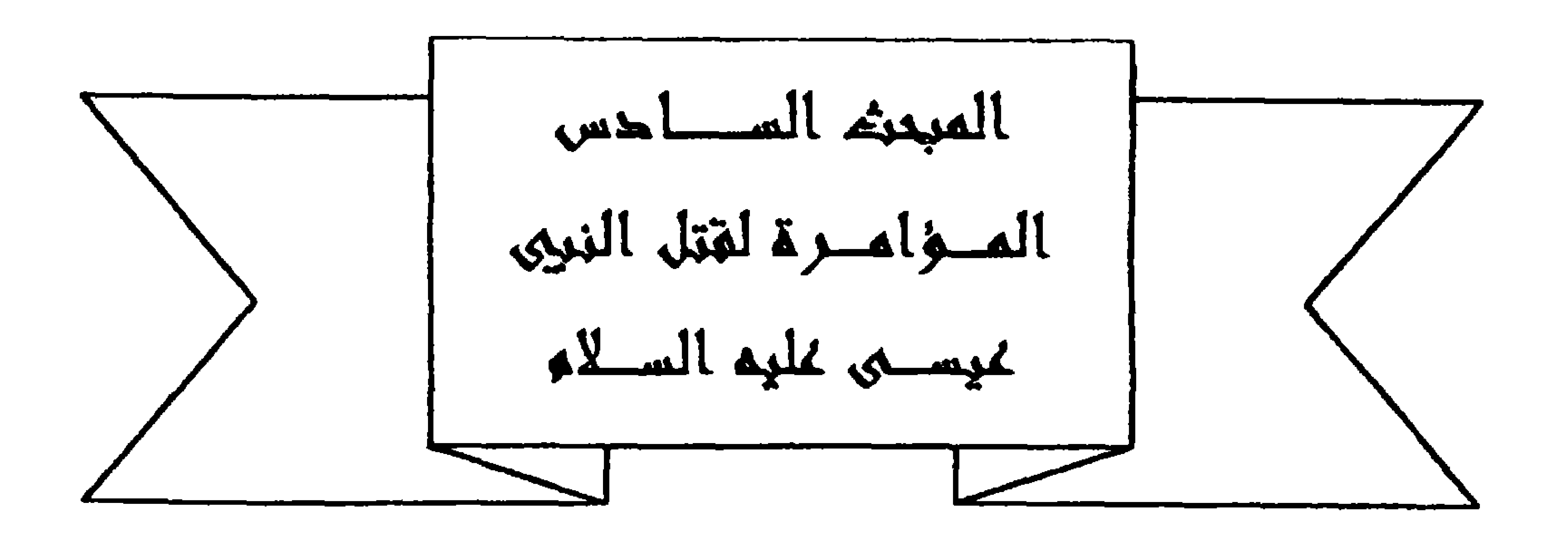
ولقد شعر رؤساء الكهنة اليهود بخطر تجمع شعبهم حوله وتوقع ضياع هيبتهم الكهنوتية وتفرد هيكلهم بالدعوة والطقوس فقرروا القضاء عليه وعلى ما يدعو الناس إليه ، فأمروا حرس وجنود الهيكل بمتابعة أخبار تنقلاته للقبض عليه .

وما كان يدور من حوارات بين المسيح والشعب اليهودي يدل على شفافية بالغة للنبي (عيسى ابن مريم) وكان ينبههم بقوله: (إني لم أقل شيئا من نفسي بل أقول الكلام الذي علمني إياه الذي أرسلني وهو معي) [٢]

---

[١] الإنجيل كما دونه يوحنا ٠٨) ص ١٤٧ .

[٢] الإنجيل كما دنه يوحنا (٨) صـ ١٤٨ .



لقد تعود المسيح صعود جبل الزيتون يتعبد ثم إذا هبط توجه إلى مجلس علمه في الهيكل حيث يجتمع حوله جمهور اليهود ، وتشهد عباراته بشعوره بدنو اجله عن الدنيا حيث كان يقول : (من يتبعني فلا يتخبط في الظلام .. وسوف اذهب فتسعون في طلبي ، ولكنكم لا تقدرون أن تأتوا إلى حيث أكون)[1]

وكانت للمسيح عبارات لماحة في مجالس دعوته منها قوله: (أنتم من تحت ، أما أنا فمن فوق ، أنتم من هذا العالم وأنا لست منه) [2] .

---

[1] الإنجيل كما دنه يوحنا (٨) صـ١٤٦

[2] الإنجيل كما دنه يوحنا (٨) صـ ١٤٧

وكانوا يسألونه : (من أنت؟) ويجيب المسيح : " أنا كل ما كنت أقول لكم دائما ، وأن الذي أرسلني هو الحق ، ومـــا أقولــه للعالم هو ما سمعته منه) [٣] .

وأضاف قائلا:

(من يؤمن فهو لا يؤمن بي أنا بل بالذي أرسلني ، ومـــن آمن بي لا يبقي في الظلام ، لم أتكلم بشيء من عندي ، بل أقول ما أوصاني به الرب) [١] .

وأضاف قائلا:

(الحق الحق أقول لكم ليس عبد أعظم مـــــن سـيده ، ولا رسول أعظم من مرسله .. فإذا كنتم قد عرفتـــم هـــذا فطوبى لكم إذا علمتم به) [٢]

والمسيح يوصيهم بتنفيذ أوامر الله والتـــزام طاعتــه سبحانه فيقول لهم : " الحق الحق أقول لكم : ومن يقبلنـــي ، يقبل الذي أرسلني" [٣]

" إن كنتم تحبونني فأعملوا بوصاياي .. ووصيتي لكم هي هذه : " إن يحب بعضكم بعضا كما أنا أحببتكم[٤] "

---

[٣] الإنجيل كما دنه يوحنا (١٠) صـــ ١٥١

[١] الإنجيل كما دونه يوحنا ١١ ، ١٢ صـــــ ١٥٤

[٢] الإنجيل كما دونه يوحنا ١٢ ، ١٣ صـــــ ١٥٧

[٣] الإنجيل كما دونه يوحنا (١٣) صــــ ١٥٧

ولقد آمن بالمسيح النبي أعداد من اليهود ، كما لازمه اثنا عشر تلميذا وكانوا من المقربين له يستمعون لوصياه ودعواته إلى الإيمان بمن أرسله هاديا لشعبه وكان منهم (سمعان بطرس) ومنهم (يهوذ بن سمعان) (الاسقربوطي) الذي خان معلمه العظيم ومرشد الجموع إلى طاعة الله (عيسى ابن مريم) وكان نبي الله عيسى لا يهدأ عن الدعوة إلى الله وقد داوم على الترحال لنشرها حتى وصل إلى منطقة (الجليل) وثارت اليهود لهذا النشاط وحدد لهم الخائن (يهوذا) مكان تواجده ، ودارت بين الجموع اليهودية مناقشات عديدة ، قال بعضهم : (إنه صالح) وقال آخرون : (لا بل يضلل الشعب) ولم يتوقف المسيح عن الدعوة إلى الله .

وعلا صوته في الهيكل اليهودي يعلم الشعب ويوصيهم ، ودهش اليهود منه وتساءلوا : (كيف يعرف هذا الكتاب وهو لم يتعلم ؟ وأجابهم المسيح بنفسه : (ليس تعليمي من عندي بل من عند الذي أرسلني ، ومن أراد أن يعمل بمشيئة الله يعرف ما إذا كان تعليمي من عند الله أو إنني أتكلم من عندي [1]

---

[1] الإنجيل كما دونه يوحنا ١٤ ، ١٥ صـــ ١٥٩ (سلام يسوع) الإنجيل ط ١٩٨٥٢

[1] انظر الإنجيل كما دونه يوحنا (٨) صــــ ١٤٨ .

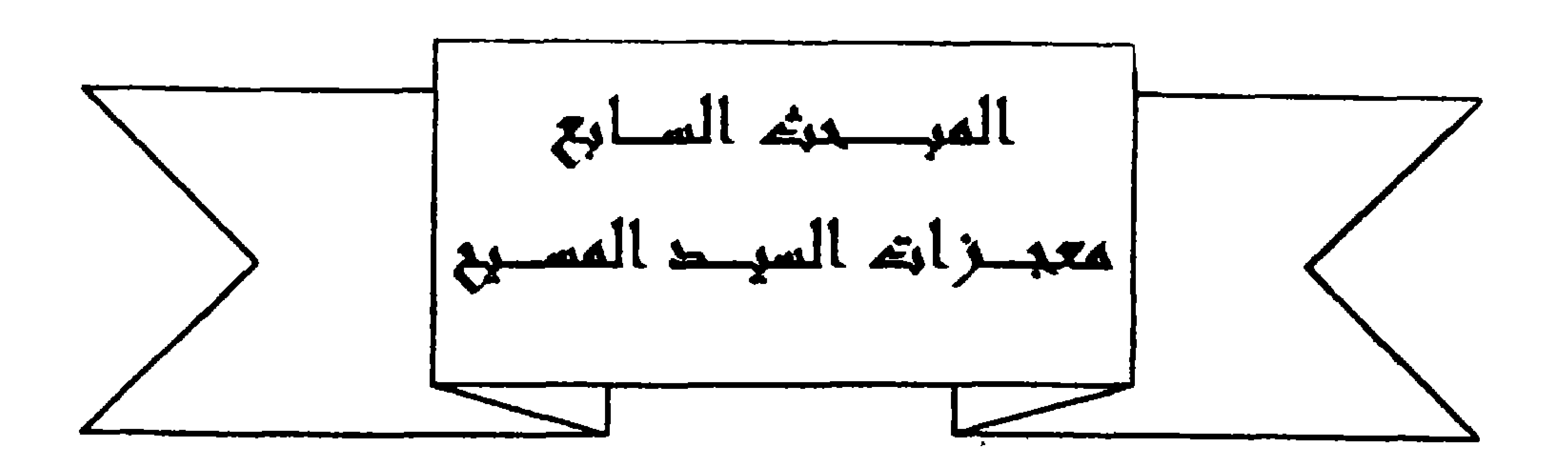
وتساءل بعض أهل أورشليم في مجلس علمه بالهيكل عـن اصل نسبه فرفع المسيح صوته قائلا : (أنتم تعرفونني وتعرفـون من أين أنا وأنا لم آت من عند ذاتي ، ولكن الذي أرسلني هو حق وأنتم لا تعرفونه ، أما أنا فأعرفه) [١] .

وفي آخر يوم في عيد الفصح وقف المسيح وقـال بـأعلى صوته :

(إن عطش أحد فليأت إلى ويشرب وكما قال الكتاب ، فمن آمن بي تجري من داخله أنهار ماء فلما سمع الحاضرون هذا قال بعضهم : " هذا هو النبي حقا " وقال آخرون وهل يطلع المسـيح من الجليل ؟ أما قال الكتاب أن المسيح سيأتي مـن نسـل (داود) ومن قرية بيت لحم حيث كان داود ؟

---

[١] انظر الإنجيل كما دونه يوحنا (٨) صـ ١٤٤- ١٤٥ (يسوع بعلم علنا في الهيكل)



ويهمنا ذكر السبب الرئيسي لإجماع رؤساء وكهنة اليهود على التخلص من هذا المسيح الذي صار رحمة للعباد وتجمع من حوله المريدون وطوائف اليهود من كل قرية ومدينة وجذب الأنظار إلى طريق الله .

لقد توالت معجزات نبي الله عيسى عليه السلام كما ذكرها القرآن الكريم .. فهو برغم أنه نشا أميا إلا أنه قد وهبه الله علم الكتاب والحكمة ، واستوعب ما في التوراة والإنجيل من أوامر وأحكام ومقاصد .

ويحكي الإنجيل وقائع من معجزات السيد المسيح نسوق منها :

١- شفائه للأبرص والمشلول

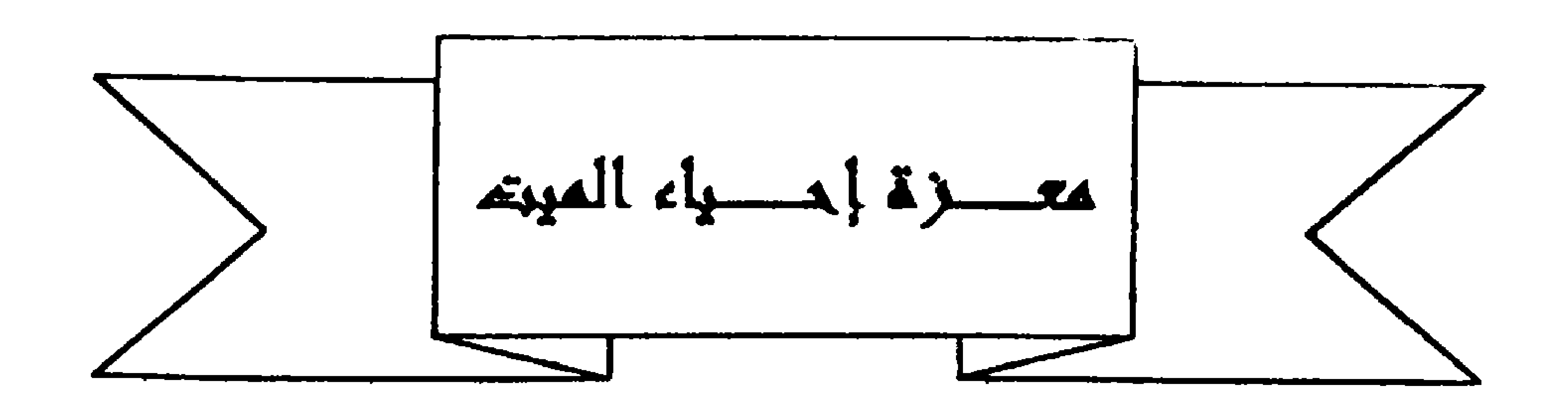
فيقول : " وجاءه رجل مصاب بالبرص يتوسل إليه قائلا : " إن أردت ، فأنت تقدر أن تطهرني ! " فمد المسيح يده فلمسه حتى زال البرص عنه " [١]

وبعد أيام وصل المسيح إلى بلدة (كفر ناحوم)

وانتشر خبر وصوله فاجتمع الناس حول البيت وجاءه بعضهم يحملون مشلولا فلما رآه المسيح حتى قال له : يا بني لقد غفر الله لك خطاياك إلى قم احمل فراشك ، واذهب إلى بيتك فقام في الحال حاملا فراشه ومشى أمام الجميع فذهلوا جميعا وعظموا الله قائلين: ما رأينا مثل هذا قط " [٢] .

---

[١]، [٢] انظر الإنجيل كما دونه مرقص ٥٢ من الإنجيل ط ١٩٨٢ م



يذكر الإنجيل أنه عندما مرض المدعو (لعازر) وهو مــن بيت (عينا) وهي قرية لا تبعد عن أورشــليم إلا حــوالي ميلــين أرسلت أختاه (.مريم) و (مرثا) إلى المسيح تقولان : " يا سيدي : إن الذي تحبه مريض " .

وحدد المسيح الوقت المناسب للتحرك إليه ثم توجــه إلــى قرية (عينا) وكان (لعازر) قد دفن منذ أربعة أيام ، وكان كثيرون من اليهود قد توافدوا للعزاء فلما عرفت (مرثا) أن المسيح قــادم خرجت للقائه وتبعها جموع المعزين من اليهود ،وبقيت (مــريم) جالسة في البيت ، والتقت (مارثا) بركب المسيح القادم ، فسألها : (أين دفنتموه؟) أشارت إلى مكان دفنه فلما اقترب مــن القبــر ، وكان كهفا : (قال ارفعوا الحجر عن بابه : فقال (مارثــا) : (يــا سيدي هذا يومه الرابع وقد انتن) فنادى المسيح بصوت عــال : (لعازر اخرج) فخرج الميت والأكفان تشد يديه ورجليه والمنديل يلف رأسه ، فقال المسيح لمن حوله : (خلوه ودعوه يذهب !) (١)

(١) الإنجيل كما دونه يوحنا ص ١٣ ١٥٣ ط ١٩٨٢ .

شفـــاء الأصم :

ثم غادر المسيح نواحي صور وعاد إلى بحيرة الجليـــل ، مرورا بصيدا عبر حدود المـــدن العشر فاحضروا إليـــه أصـــم معقود اللسان، وتوسلوا إليه أن يضع يده عليه ،، فانفرد به بعيدا عن الجمع ، ووضع إصبعيه في أذني الرجل ثم تفل ولمس لسانه ، ورفع نظره إلى السماء وتنهد وقال له : (افتح !) وفي الحـــال انفتحت أذناه وانحلت عقدة لسانه وتكلم بطلاقة [٢]

شفـــاء الأكمـــه :

وعن شفاء (برتيماوس الأعمى) يحكي لنا الإنجيل عن ذلك فيقول " بينما كان المسيح خارجا من بلده (أريحا) ومعه تلاميـــذه وجمع كبير ، وكان ابن (تيماوس) ، (بارتيماوس الأعمى) جالسا على جانب الطرق يستعطي ، وإذ سمع أن ذاك المار هو المسيح الناصري ، حتى اخذ يصرخ فتوقف المسيح وقـــال : (دعـــوه !) وسأله : " ماذا تريد أن أفعل لك ؟ فأجابه الأعمى : يا ســـيدي أن أبصر ! ورد عليه المسيح : " اذهب إيمانك شفاك " وفي الحـــال أبصر ، وتابع المسير مع ركب المسيح في الطريق حتى اقتربوا

---

(٢) الإنجيل كما دونه مرقص ٧ : ١ ص ٦٣ ص ١٩٨٢

من أورشليم ومروا بقرية (بيت فاجي) وقرية (بيت عنيا) ، عند جبل الزيتون ثم دخلوا إلى الهيكل فغضب المسيح مما كان يجري فيه مما جعله يندفع ويطرد الذين كانوا يبيعون والذين كانوا يشترون في الهيكل وأخذ في قلب موائد الصيارفة ومقاعد باعة الحمام ، ولم يدع أحدا يمر عبر الهيكل وأخذ يفسر ما أقدم عليه من عمل بقوله : أما كتب : إن بيتي للصلاة يدعى عند جميع الأمم ، أما أنتم فقد جعلتموه مغارة لصوص ! "

وسمع رؤساء الكهنة والكتبة بذلك وما فعله المسيح عيسى فأخذوا يتناقشون : كيف وبأية سلطة فعل ما فعله ؟ سألوه : من منحك هذه السلطة لتفعل ذلك ؟ " ورد عليهم " : " أمن السماء كانت بركات (يوحنا) أم من الناس ؟ أجيبوني !) فتشاوروا فيما بينهم ، قائلين : "إن قلنا من السماء ، يقول إذن لماذا لم تؤمنوا به وبرسالته " أم هل نقول : من الناس ؟ : وغالبية الشعب يعتبرون أن يوحنا نبي حقا ؟ وقرروا أن يجيبوا المسيح قائلين : (لا ندري !) فقال لهم المسيح : " ولا أنا أقول لكم بأية سلطة أفعل تلك الأمور " [1] .

---

[1] الإنجيل كما دونه مرقص / ١٠ ص ٦٨ ط ١٩٨٢ م

وهلل المتجمعون إيمانا بعيسى واندفعوا اتجاه رؤساء كهنتهم لإخبارهم بما شاهدوا وما فعل عيسى ، وهنا عقد الكهنة مجلسا ، وقالوا : (ماذا نفعل ؟) هذا الرجل يعمل آيات كثيرة فإذا تركناه وشأنه يؤمن به الجميع ، فيأت الرومانيون ويدمرون هيكلنا المقدس وأمتنا !) وقال (قيافا) رئيس الكهنة : (من الأفضل أن يموت رجل واحد بدلا من أن نهلك الأمة كلها)[٢]

وعلى ذلك بيتت رئاسات كهنة بني إسرائيل نيتهم السيئة لإنهاء تواجد نبي الله عيسى بينهم وإنهاء ما كان يدعو الشعب إليه من معرفته طريق الخالق والسير فيه فتابعوا تحركاته ومسيرة دعوته الإيمانية إلى أن وصلت بستانا في وادي (قدرون) توقف عيسى عنده يدعو إلى الله ويوصي الناس خيرا والأفواج من اليهود يتجمعون حوله ويستمعون وتجمع رؤساء الكهنة اليهود حول المسيح ذلك الذي جذب النفوس وشد العقول إليه وتوجهوا به إلى قصر الحاكم الروماني (ببلاطس) لعرضه كقضية منحرفة هدامة تهدم دينهم وتفرق جمعهم مما يوجب محاكمته فخرج إليهم وسألهم : (بماذا تتهمون هذا الرجل ؟) .
فأجابوه : " ولم لم يكن مذنبا لما سلمناه إليك " .

---

(٢) انظر الإنجيل كما دونه مرقص ط ١٩٨٢ .

فقال بيلاطس : (خذوه أنتم وحاكموه حسب شـــريعتكم ..) فأجابوه : (لا يحق لنا أن نقتل أحدا !) .

فدخل بيلاطس قصره واستدعي المسيح وسأله : أأنت ملك اليهود ؟ إن أمتك ورؤساء الكهنة سلموك إلى ماذا فعلت ؟ أجاب عيسى النبي : ليست مملكتي في هذا العالم لقد ولدت وصرت إلى العالم لأشهد للحق .

فخرج الحاكم الروماني مواجها اليهود بقوله : (إني لا أجد فيه ذنبا في حق شريعة اليهود أو إساءة للهيكل أو القيصر .) وقد جرت العادة عندكم أن أطلق في عيد الفصـــح أحـــد الســـجناء فصرخ اليهود جميعا قائلين : لا تطلق هذا ، بل (براباس) وكـــان (برباس) هذا لصا ! .

عندئذ أمر الحاكم بيلاطس أن يؤخذ عيسى ويجلـــد فجلـــد ولكن رؤساء الكهنة اليهود ساحوا مطالبين بصـــلبه ،ورد علـــيهم الحاكم : أأصلب ملككم ؟ فأجابوه : لا ملك لنا إلا القيصر وعندئذ

سلم الحاكم لهم عيسى) وخرج الجميع من القصر وقد بيتوا النية على تنفيذ ما أخفوه في نفوسهم .

وتحكي المراجع العربية عن اللحظات السابقة لما بيتوا عليه النيات .. انصرف المسيح عيسى إلى داره وكان عنده من الحواريين اثنا عشر رجلا : بطرس ويعقوب بن زيدا ، ويجنس أخو يعقوب وأندراوس وفيلبيس ،وابر ثلما ومتا ، وتوماس ،ويعقوب بن حلقيا، وتداوس ، وفتاتيا ، وبودس كريا يوطا .

اجتمعوا إليه من الليل فعشاهم وقام بخدمتهم ، قال ابن أبي حاتم :

حدثني أحمد بن سنان عن أبي معاوية عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس " لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه ثم قال : أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي ، فقام شاب من أحدثهم سنا فقال له : اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا فقال : أنت هو ذاك فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنه في البيت إلى السماء .

ويروى ابن إسحاق أن النصارى تقول أن رجــلا اســمه سرجس هو الذي القي شبه المسيح عليه فصلب وقال ابن إسحاق إن النصارى تزعم أن الذي صلب عن المسيح وألقي عليه شــبهه هو : يودس ين كريايوطا) والله أعلم [١]

وذكر ابن جرير عن محمد بن إسحاق أن عيســى عليــه السلام قبل أن يرفع أوصى الحواريين بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وعين كل واحد منهم إلى طائفة من الناس في إقليم من الأقاليم من الشام وبلاد المغرب فذكروا أنه أصبح كــل إنسان منهم يتكلم بلغة الذين أرسله المسيح إليهم [٢]

وقال جرير والثوري عن الأعمش عن إبــراهيم : (مكــث عيسى في قومه أربعين عاما ، ويروى أمير المؤمنين (علي) أن عيسى عليه السلام رفع ليلة الثاني والعشرين من رمضان في بيت المقدس عشية الجمعة ليلة السبت "ص ٥٣٣ قصص الأنبياء لابن كثير" .

---

[١] انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص ٥٣٥ ط المكتبة التوفيقية بميدان الحسينية بالقاهرة .

[٢] انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص ٥٤٥

وتلك الليلة في مثلها توفي (علي) رضي الله عنه ، بعد طعنه بخمسة أيام [١]

وحكي الحافظ ابن عساكر من طريق يحي بن حبيب ، فيما بلغه أن (مريم) سألت عن بيت الملك بعد ما صلب المصلوب بسبعة أيام ، وهي تحسب أنه ابنها ، أن ينزل جسده ، فأجابها إلىذلك ودفن هناك ، فلما دنت من القبر قال لها جبريل : يا مريم أن هذا ليس المسيح ، إن الله رفع المسيح وطهره من الذين كفروا [٢] .

ويذكر الإنجيل مكان صلب المصلوب فيقول : فأخذ المصلوب إلى مكان يعرف (بالجمجمة) وترجمته بالعبرية (جلجثة) [٣]

وقال الحافظ ابن عساكر : وبلغني أن مريم بقيت بعد عيسى خمس سنين ولها ثلاث وخمسون سنة رضي الله عنها وأرضاها .

---

[١] انطر قصص الأنبياء لابن كثير ص ٥٣٨

[٢] انطر قصص الأنبياء لابن كثير ص ٥٣٨

[٣] الإنجيل كما دونه يوحنا ١٨ ، ١٩ ص ١٦٤ ط ١٩٨٢ م

وقال الحسن البصري كان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أربعا وثلاثين سنة [1]

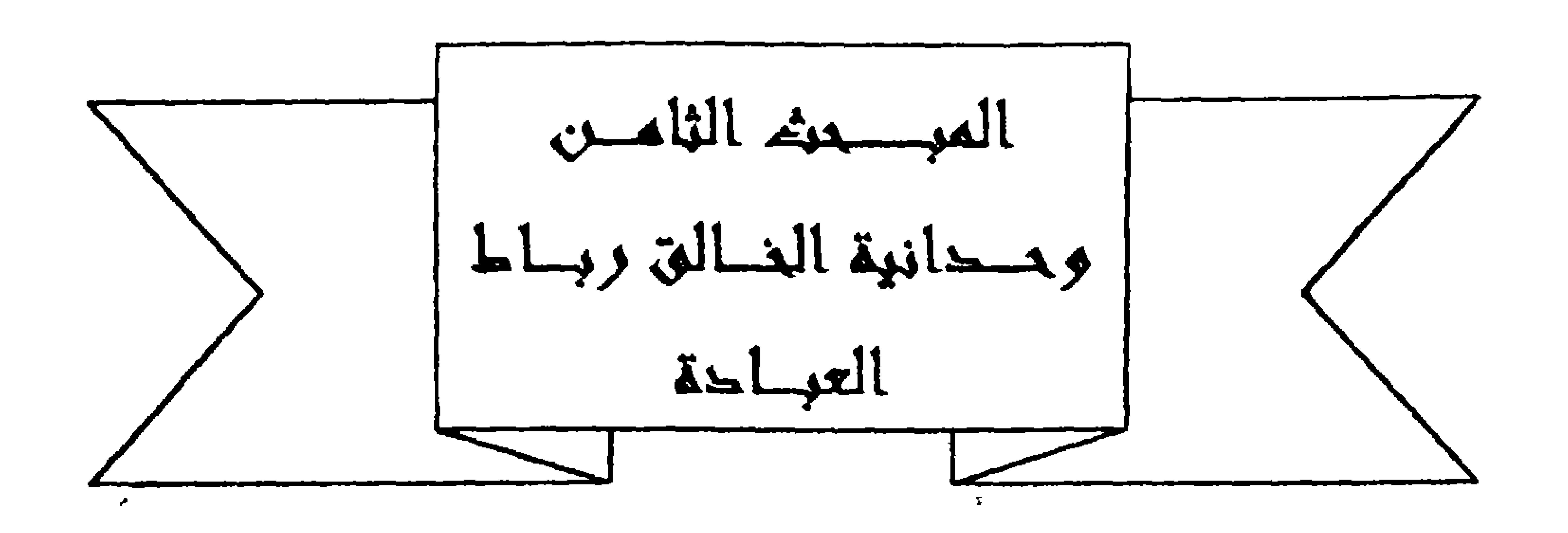
وأخيرا نورد ما قاله احمد بن مروان : " حدثنا محمد بن الجهم ، قال : سمعت الفراء يقول تفسيرا لقوله تعالى : (ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين ، قال أن عيسى غاب عن خالته زمانا فذهب لزيارتها ،فأسرع (رأس الجالوت اليهودي) فضرب على باب الدار حيث تواجد (المسيح عيسى) فكسروا الباب عليه وتجمع اليهود ودخل هذا القائد ليقبض علي (المسيح) فطمس الله عينه ، ثم خرج إلى من وفد معه ، وقال : لم أره ، فقالوا : أنت عيسى وألقي الله شبه عيسى عليه فأخذوه فقتلوه وصلبوه " وأيد القرآن **الكريم سلامة** نبيه **عيسى** عليه السلام بقوله **تعالى** : (وما قتلوه **وما صلبوه** ، ولكن شبه **لهم** ، صدق الله **العظيم**) .

قال تعالى : " وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨) [2]

---

[1] انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص ٥٣٨

[2] سورة النساء ج ٦



لقد جاء عيسى عليه الإسلام ليبشر بمحمد آخر الرسل صلى الله عليه وسلم ونطق باسمه المبارك (بيراكليت) وترجمتها (أحمد) في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا .

كما جاء اسمه صلى الله عليه وسلم (محمد) ثلاث عشرة مرة في إنجيل برنابا وكانت دعوته هي إسلام الوجه للواحد المعبود .

ونقول أن الرباط بين كتب الله إلى الناس من مزامير وتوراة وإنجيل وقرآن كريم رباط واحد يعلن الوحدانية للمعبود جل وعلا والنصوص كثيرة جاءت في مزامير داود .

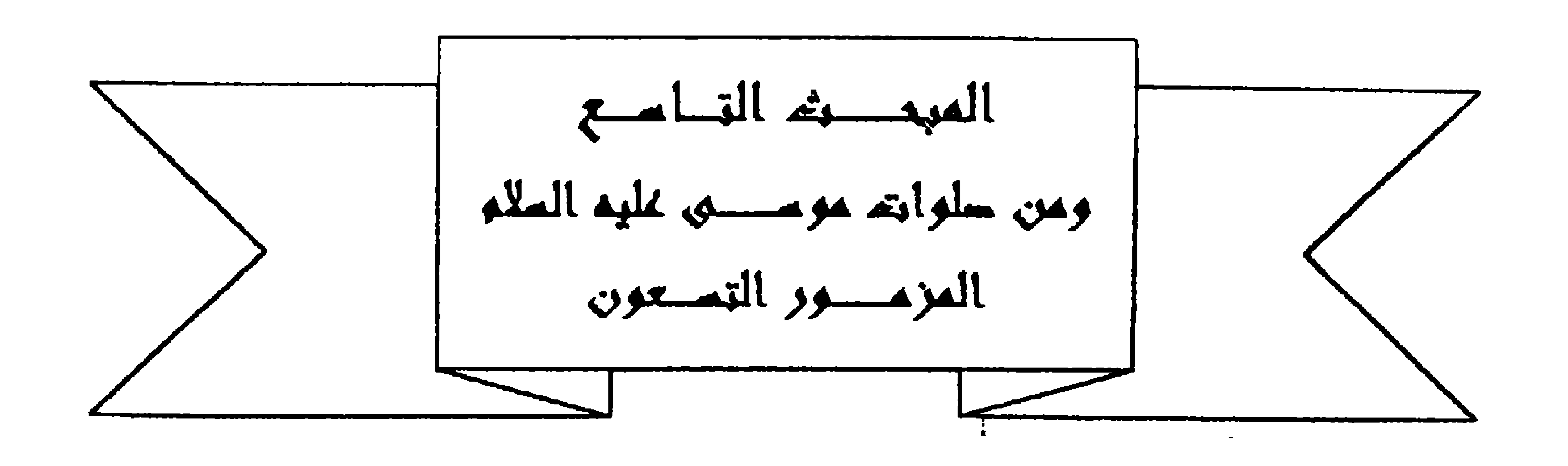
" من هو إله غير الرب " مز ١٨ – ٣١ وقال داود : "يا رب لا إله غيرك " أخ ١٧ : ١٦ وفي سفر الملوك الأول : " لتعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر " ٢٠ مل ١٩ – ١٦

كما جــاء فيــه : " أيها الرب ألهنا ، خلصنا مــن يـــده فتعلم ممالك الأرض كلها : إنك أنت الرب الإله وحدك " ٢ مــل ١٩ :١٩ وقد أعلن الله نفسه هذه الحقيقة فقال : أنا الأول والآخر ولا إله غيري (١ ش ٤٤ :٦) وقال : " أنا الرب وليس آخر لا إله سواي (١ ش ٤٥ : ٥٠) وقال : أنا ، أنا هو وليس إله معــي (تث ٣٢ : ٣٩م) .

وجاء في إنجيل مرقص : سأل واحد من الكتبــة يســو ع الرسول قال : " أية وصية هي أول الكل ؟ فأجابه يســو ع : " إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل : إن الــرب إلهنــا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كــل فكرك ومن كل قلبك هذه هي الوصية الأولى ، وثانية مثلها : هي تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم مــن هــاتين فقــال الكاتب : بالحق قلت ، لأنه الله واحد وليس آخر ســواه " إنجيــل مرقص ١٢ : ٢٨ – ٣٢ .

ولقد أجرى الله معجزات على يد (عيسى) عليــه الســلام وكان امتدادا لشريعة (موسى) عليه السلام وجاء الإسلام امتــدادا للشريعة الإلهية (لموسى و عيســى) وامتــدادا لبركــة إبــراهيم

وإسماعيل وإسحاق عليهم سلام الله ليتحقق وعد الله لإبراهيم بأنه سيبارك فيه كل أمم الأرض كما جاء في الإنجيل " ووقف سليمان تجاه كل جماعة إسرائيل وبسط يديه إلى السماء وقال أيها الـرب إله إسرائيل ليس إله مثلك في السماء من فوق ولا على الأرض من أسفل حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم " (٢٤ الملوك الأول ٨) الكتاب المقدس .



يا رب ملجأ كنت لنا من قبل أن تولد الجبال أو بدأت الأرض المسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله (المزمور التسعون الكتاب المقدس دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط) .

وفي المزمور الحادي والتسعين قال : الساكن في ستر العلي في ظل القدير ببيت ، أقول للرب ملجأي وحصني إلهي فأتكل عليه ، لأنه ينجيك من فخ الصياد ومن الوباء الخطر ، الكتاب المقدس كتب العهد القديم والجديد) .

ومن المزمور الثاني والتسعين مزمور تسبيحه ليوم السبت: " وأحسن هو الحمد للرب والترنم لاسمك أيها العلي .. أنت يا رب متعال إلى الأبد .

ومن المزمور المائة والأربعين لإمام المغنيين مزمور لداود يقول : " أنقذني يا رب من أهل الشر ، ومن رجل الظلم

احفظني .. أنت إلهي .. الصديقون " يحمدون اسمك ، المستقيمون يجلسون في حضرتك " .

ومن المزمور المائة والثاني والأربعين قصيدة لداود لما كان في المغارة يصلى قال : بصوتي إلى الرب أصرخ بصوتي إلى الرب أتضرع أسكب أمامه شكواي ، بضيقي قدامه أخبر ، صرخت إليك يا رب قلت أنت ملجأي نجني من مضطهدي لأنهم أشد مني أخرج من الحبس نفسي لتحميد اسمك) الكتاب المقدس .

بهذا أراد المولي أن يقيم الحجة على العباد فلا يصح أن يدعي فرد مع هذا الهدى الداودي وبما جاء في القرآن الكريم **خاتم الكتب على خاتم الأنبياء محمد صلى** الله عليه وسلم جهل معرفة **طريق الهداية بينه** وبين الله وبينه وبين الناس من حسن معاملة وشكر للخالق .

قال تعالى :

(إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا

بين ذلك سبيلا (١٥٠) أولئك هم الكافون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا (١٥١) والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما (١٥٢) سورة النساء ج ٥

وجاء في الإنجيل : (ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر الرب لإبرام وقال له أنا الله القدير ، سر أمامي وكن كاملا فاجعل عهدي بيني وبينك و أكثرك كثيرا جدا ، هذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم ، فلا يدعي اسمك بعد إبرام ، بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم) .
(تك ١٧ : ١ – ٥) .

وجاء أيضا : قال الرب لإبرام اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك ، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة (تك ١٢ – ٣ : ١) [١]

ومن مزامير داود نقتطف توسله للخالق وبيان استقامته على طريق الله ونزاهته وكمال سلوكه .

---

[١] انظر الكتاب المقدس طبعة ١٩٨٢ .

ويبدأ داود المزمور بالقــول :

(اقض لي يا رب لأني بكمالي سلكت وعلى الرب توكلــت بلا تقلقل) ع الأول للمزمور .

كان داود يعلم أن كل الصلاح إنما هو من الله ،ويثق فـــي قدرة الله على إظهار كل شئ في نور قداسته المطلقة لذلك صرخ ملتمسا من مولاه أن ينصره على ظلم الناس وهو في ذلك يلتجــأ إلى عرش العدالة الكاملة فصرخ متضرعا متوسلا : يـــا رب إن كنت ترى في شيئا أنا لا أراه امتحني " صف كليتي وقلبي "

ويتغنى داود برحمة ربه ويتغنى عيسى بعده برحمة ربـــه فيقول : " لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضـــى رحمتـــه خلاصا " (تي ٣ : ٥) .

وأمام غفران الله لعباده يأتي وجوب اعتدال سلوك العبـــاد واستقامتهم على منهج محبتهم لله والابتعاد عن أناس السوء التـــي نادى بها داود فقال : (لم أجلس مع أناس السوء ومع الماكرين لا أدخل) . ع ٤

(واغسل يدي في النقاوة فأطوف بمذبحك يا رب لأسمع بصوت الحمد وأحدث عن جميع عجائبك) ع ٦ ، ٧

وعلى صوت المرنم بهذه الأنشودة ذات الحلقات الأربع وكل واحدة منها أساس للأخرى .

الأولى : النقاوة والطهارة أساس القرب إلى الله .. ويقول يوحنا كما سمع من معلمه نبي الله عيسى عليه السلام : وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه نخبركم به إن الله نور وليس فيه ظلمه البتة (١ يو ١ : ٥) .

ويواصل ما سمعه عن الله فيقول : هو المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذي وحده له عدم الموت ساكن في نور لا يدنى منه ولم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه (١ تي ٦ : ١٥) .

وعبارة أطوف في مذبحك يا رب هذه هي النتيجة المباركة لنقاء القلوب وطهارتها التمتع بالوجود في ذات الحضرة الإلهية والانفصال الصادق عن الشر " وينتقل ليسمع بصوت الحمد

فالانفصال عن الشر اتصال بالمعبود والسجود له والتمتع بحضرته سبحانه وتعالى وفي حضرته يلهج اللسان بالترنم والتسبيح ويكثر السجود في حضرته توسلا والتماسا ورجاءا .

وما ترنم به النبي داود وصار قدوة لنبي الله عيسى من بعده يترنم ويردد لا يخرج كما عرضنا عن جادة العبادة لله الواحد وليس فيه خروج أو شرك لعبد في ملكوت الله ولا ألوهية لغير الخالق وهذا ما أكده نبي الرحمة وخاتم أنبياء الله للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم ليكون حجة على كل مشرك وتكون الحجة باقية على المخالفين لمنهج . رسول الإسلام عند حسابهم لا يتعلل أحد بعدم العلم أو الجهل بصحيح رسالة الله إلى خلقه وضرورة إسلام البشر .

وفي إنجيل يوحنا تفسير من نبي الله عيسى لليهود عن المنهج الرباني حيث قال لهم " (إن ثبتم في كلمتي كنتم حقا تلاميذي وتعرفون الحق والحق يحرركم فرد اليهود : نحن أحفاد إبراهيم ولم نكن قط عبيد لأحد !) .

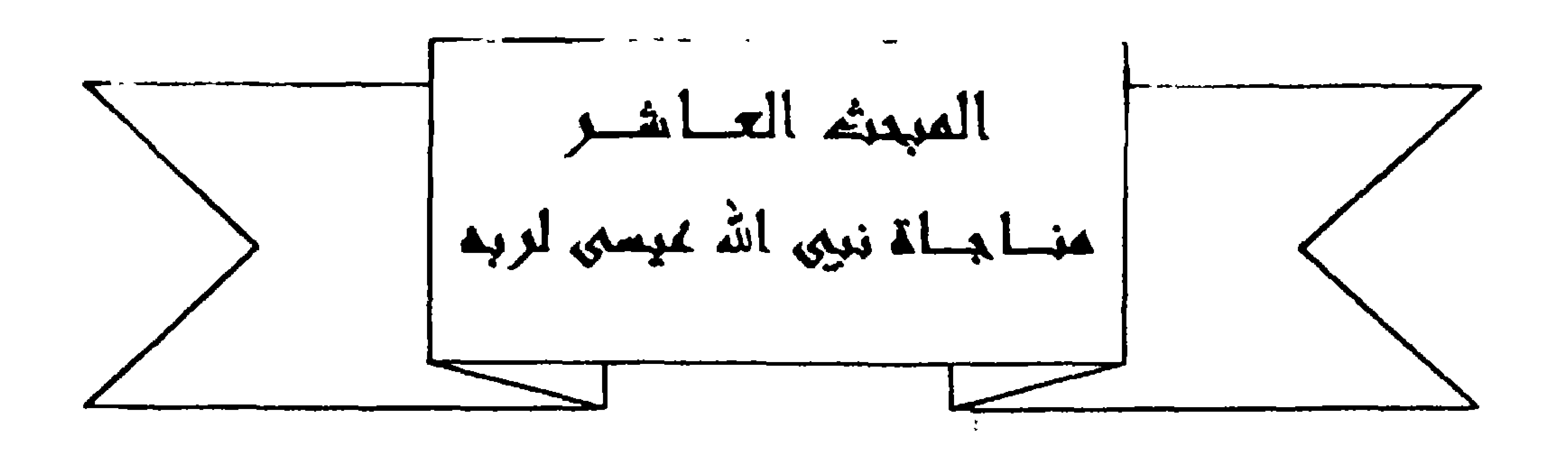
كيف يقول لنا : إنكم ستصيرون أحرارا ؟ " أجابهم يسوع" الحق الحق أقول لكم إن مرتكب الخطيئة يكون عبدا لهـــا " أنـــا أعرف أنكم أحفاد إبراهيم ، ولكن كلمتي لا تجد لها مكانـــا فـــي قلوبكم . [1]

ثم قال : " من يؤمن بي فهو يؤمن لا بي أنا بـــل بالـــذي أرسلني " [2]

---

[1] إنجيل يوحنا ٨ صـــ ١٤٨ الإنجيل

[2] إنجيل يوحنا ١٢ ، ١٣ الإيمان ص ١٥٦ طبعة ١٩٨٢



قال فيها: " أنت الإله الحق وحدك ، والذي أرسلته : يسوع المسيح : أنا مجدتك وأنجزت العمل الذي كلفتني ، وعرفوا الآن أن كل ما وهبته لي فهو منك ، نقلت إليهم الوصايا التي أوصيتني بها فقلبوها ، أيها القدوس احفظ في اسمك الذين وهبتهم لي ، ليكونوا واحدا " أنت الإله أبلغتهم كلمتك ، وإن كلمتك هي الحق " أما الآن فإني عائد إليك ، وأتكلم بهذا وأنا بعد في العالم (الإنجيل كما دون يوحنا ١٧ ص ١٦٢ طبعة ١٩٨٢ .

وبهذا حدثنا القرآن الكريم قال تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم :" ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (٥٤) إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (٥٥) آل عمران .

قال سبحانه وتعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم " (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كـن فيكـون (٥٩) الحق من ربك فلا تكن من الممترين(٦٠) آل عمران ج ٣.

وقال عز وجل : بسم الله الرحمن الرحيم " وقالت اليهـود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنـتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعـذب مـن يشـاء ولله ملـك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير (١٨) يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولـوا مـا جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير (١٩) سورة المائدة ج ٦ .

وقال وقوله الحق : بسم الله الرحمن الرحيم : " ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعـيم (٦٥) ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهـم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون (٦٦) سورة المائدة ج ٦ .

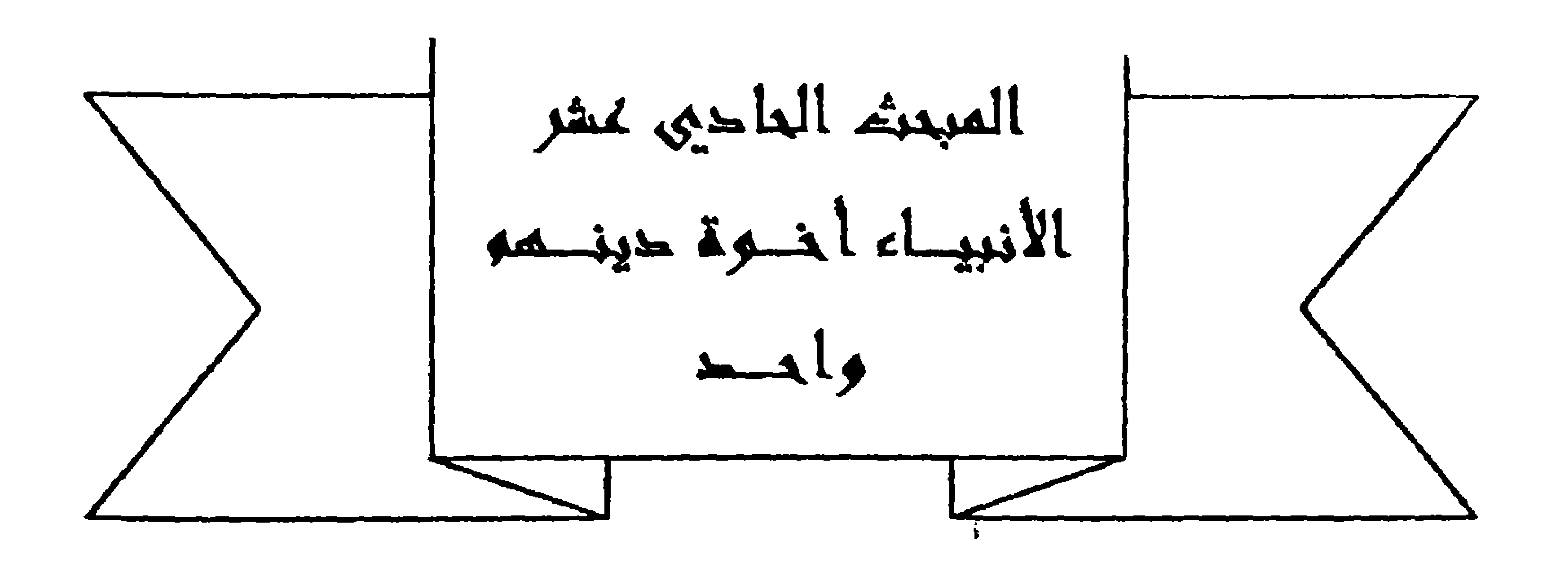
كما تأكد لنا كذب الذين كفروا حين قال تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم " لقد كفر الذين قالوا إن الله هــو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبــدوا الله ربــي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢) لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا اله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (٧٣) أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم (٧٤) ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيــات ثــم انظر أنى يؤفكون (٧٥) قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكــم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم (٧٦) قل يا أهــل الكتــاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (٧٧) لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصــوا وكانوا يعتدون (٧٨) صدق الله العظيم . سورة المائدة ج ٦ القرآن الكريم .

وفي القــرآن الكــريم مزيد توضيح عــن رســـــول الله عيسىابن مريم:

بسم الله الرحمن الرحيم : " يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا أنك أنت علام الغيوب (١٠٩) إذ قال الله يــا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتــاب والحكمــة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتــنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين (١١٠) وإذ أوحيتم إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشـــهد بأننــا مســلمون (١١١) سورة المائدة .

ومما سبق يتضح موقف الإسلام فـــي كتــاب الله القــرآن الكريم من نبي الله عيسى عليه السلام وممن آمن برسالته ، أمــا غير ذلك من الأقاويل فهي من فعل من كفر وأراد تضليل خلــق وإدخالهم في متاهات كفر وإبعاد الحق والحقائق ، ولهم بما فعلوا عذاب من الله شديد .



وعلى لسان خاتم الأنبياء حدثنا أبو هريرة رضي الله عنـه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة مـن زاوية، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولـون : هـلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين " [١]

وفيما رواه خالد عن الحسن رضي الله عنه قـال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الأنبياء أخوة لعـلات أمهـاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم إنه ليس بيني وبينه نبي وأنه أول نازل فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقاتـل الناس على الإسلام [٢]

---

[١] أخرجه البخاري في ٦١ : كتاب المناقب : ١٨ باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

[٢] تفسير القرطبي ١٦ / ١٠٦ وبنو العلات أولاد من نسوة شتى

ويتضح من كل ما عرضنا أن الدين الذي يرتضيه المعبود دين واحد أساسه الإسلام لله والاستسلام لكل ما أمر ونهي ، ومن كفر وخرج عن هذا عليه المبادرة والإسراع والرجوع بكليته تائبا مستغفرا عما فعل وعصى وأشرك وعبد .

وقال عز وجل : " بسم الله الرحم الرحيم " والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١٥٣) الأعراف ج ٨ القرآن .

ولقد تتابعات دعوات جميع أنبياء الله والمرسلين لهداية من ضل من العباد عن عبادة الخالق سبحانه والمنزه عن التشبيه والشريك والوصف حتى شاء الله أن يختمها بدين يجمع كل ما جاءت به الرسل وبلغت به البشرية من الإسراع بالتوبة والرجوع عن الأصنام وعبادتها والمخلوقات وعبادتها والاتجاه بالعبودية المطلقة لخالق الكون بكل ما حوى من خلقه بصورهاوأشكالها وتنوعها وأجناسها فكلها إذا عبدت ضلالات زينتها الشياطين وتقبلتها العقول المريضة فأعمت عن تفاهتها الأبصار فانساقت تعبد وتقدس الثعابين والنيران والأحجار ومظاهر الطبيعة من قمر وشمس وبراكين .

وكان هذا الدين المنقذ من الضالات هو (الإسلام) خاتم الأديان والقرآن الكريم يعرض على الجميع الفوارق بين الكفر والإيمان .

بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى : (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين [٦] ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعي إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين [٧] يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون [٨] هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون [٩] سورة الصف ج ٢٨

بهذا شاء سبحانه أن يرسل رسوله أحمد صلى الله عليه وسلم بالهدى لهداية الناس ودين الحق ليظهره على الدين كله وبالقرآن ففيه هدى للناس ورحمة ولو كره المشركون .

وادعى اليهود أن عيسى إله وانه ابن الله وهو بريئ مما قالوا فقد قال عيسى عليه السلام " بسم الله الرحمن الرحيم : " قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا [٣٠] وجعلني مباركا أين ما

كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا (٣١) وبرا بوالــدتي ولم يجعلني جبارا شقيا (٣٢) والسلام على يوم ولدت ويوم أمــوت ويوم أبعث حيا (٣٣) ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الــذي فيــه يمترون (٣٤) ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذ قضـــى أمــرا فإنما يقول له كن فيكون (٣٥) وإن الله ربي وربكم فاعبـــدوه هــذا صراط مستقيم (٣٦) سورة مريم

بــراءة عيســى من تهمة الألوهية :

وقد برأ عيسى ابن مريم نفسه وما ادعوه عليه من أنه إله وإنه ابن الله فقال : بسم الله الرحمن الرحيم " وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قـــال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقــد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنـــت عـــلام الغيوب (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبـــدوا الله ربـــي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنـــت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد (١١٧) إن تعـــذبهم فـــإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨) سورة المائـــدة ج ٧ القرآن الكريم .

فلله الأمر من قبل ومن بعد ونلتمس دائما سؤاله سبحانه أن يغفر لنا ما نذنب وما نخطئ ونستعين به عز وجل في كل أمورنا ونتوجه إليه وحده نشتكي ونقول كما قال يعقوب عليه السـلام :" إنما أشكو بثي وحزني إلى الله :" وتقول كما قال : "فصبر جميل" وهـو صـبر بغير شكـوى إلـى المخلوق ونـؤمن أن " مـا أصابك مـن حسنة فمـن الله وما أصابك مـن سـيئة فمـن نفسـك " (٧٩) سورة النساء .

وعلى العبد أن يصبر دائما " بسم الله الـرحمن الـرحيم " فاصبر إن وعد الله حق فاستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشـى والإبكار " (٥٥) سورة غافر .

وعلى العبد دوام التوبة مما أذنب والرجوع إلى الله بطاعته وتنفيذ أوامره وشكره على نعمائه وإسلام المقاصد والاستسلام لله بالكلية من تمام الرضا بالله ربا .

بسم الله الرحمن الرحيم " ما أصاب مـن مصيبة إلا بإذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شـئ علـيم (١١) سـورة التغابن .

واعتقاد العبد أن ما أصابه الله به من مصيبة في ماله أو أهله أو بدنه هو أمر قضاه الله عليه وأنه اختبار لمدى طاعته ومدى صبره ومدى شكره مع ذلك لله على البلاء .. والصابرون هم الفائزون حيث يرون أن ما أصابهم هو مشيئة المولى عز وجل وهو سبحانه مع هذا يهبهم ويهدي قلوبهم للرضا والصبر والحمد على كل حال .

ولسوف نتناول بيئة السيد المسيح ، وموقف المسلمين من الإنجيل ثم نأتي إلى ختام بإذن الله وليرتبط كل ما تنزلت به السماء وحيا على جميع الأنبياء والمرسلين من شرائع أوامر ونواه من الخالق لعباده) بمنهج وحيد يهدف إلى إنقاذ من ضل عن عبادة المعبود الرب وانصرف جهلا إلى عبادة سواه .

ولقد شاءت حكمة الله أن تقيم بهذا المنهج الحجة على الخرجين على طاعته سبحانه فلا يصح بعدها لهم تراجع ولا إنكار عند الحساب ، ولا تقوى لهم أعذار ويبطل كل التماس بعدم علمهم أو انصرافهم إلى عبادة سواه .

وبداية هذا المنهج هي إرادة المعبود (الله) فقد شاء سبحانه أن يترك باب الرحمة للتائبين والمستغفرين من ذنوبهم الـــراجعين إلى طاعة مولاهم الحق ، وأن يديمه مفتوحا إلى ما شـــاء مـــن زمان ميسرا أمام النادمين من عبادة والمبتعدين جهلا عن طريق مرضاته سبحانه .

باب الاختبار والتوبة مفتوحان أمام العباد فمن شاء مـــنهم رجع إلى ربه وأناب وفاز برضاه - ومن عصى واختار أن ينضم إلى جماعات إبليس وذرياتهم وتحدياتهم للطاعة وما أمر الخـــالق فقد خاب وضل .

ولقد تحدى إبليس ربه أولا بعدم السجود لآدم كما أمره ، ثم التمس من ربه إرجاء عقابه إلى يوم الحشر والحســـاب العظـــيم متحديا مدعيا قدرته على إغواء بني آدم لينصرفوا عن عبادة ربهم ويعصونه في كل ما يأمر وينهى .. فأمهله سبحانه وتوعده ومـــن تبعه وبقي علي عناده وكفره بالخالق ومعصيته حتى باء بعـــذاب شديد ينتظره وينتظرهم .

وفي هذا يقول تعالى : " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبي واستكبر وكان من الكافرين [٣٤] وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين [٣٥] فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين [٣٦] فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم [٣٧] البقرة .

وفي هذه الآيات بيان بأن الإيمان هو الطاعة لأمر الله وأن الكفر هو عصيان ما نهي الله عنه أو أمر به دون تفكير أو اعتراض كما تشمل الآيات الكريمة على أن العبد إذا تاب إلى الله من معصية جناها قبل الله توبته وغفر له ذنبه فهو سبحانه هو التواب الرحيم .

ثم تتكرر الصورة في قوله تعالى : في سورة الأعراف : " ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون [١٠] ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين [١١] قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين [١٢] قال

فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين (١٣) قال أنظرني إلى يوم يبعثون (١٤) قال إنك من المنظـــرين(١٥) قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم (١٦) ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين (١٧) قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعــك مــنهم لأملأن جهنم منكم أجمعين (١٨) ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظـــالمين (١٩) فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهمــا مــا وري عنهمــا مــن سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشــجرة إلا أن تكونـــا ملكين أو تكونا مــن الخالدين(٢٠) وقاســمهما إنـــي لكمـــا لمــن الناصحين (٢١) فدلاهما بغرور فلما ذاقـــا الشــجرة بــدت لهمـــا سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهمـــا ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكم إن الشيطان لكما عدو مبين (٢٢) قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن مــن الخاسرين (٢٣) قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (٢٤) قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنهـــا تخرجون (٢٥) يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يـــواري ســـوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون(٢٦) يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينــزع

عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون (٢٧) وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يــأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون (٢٨) قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كمــا بدأكم تعودون (٢٩) فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضــلالة إنهــم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتــدون (٣٠) الأعراف

صدق الله العظيم .

الترابط بين الأديان :

وفي سورة المائدة بيان للرباط الإلهي بين أهــل الكتــاب التوراة (اليهود) وأهل الإنجيل النصارى ثم أهل الإسلام وما جاء به القرآن الكريم من وحدانية عبادة الواحــد ووحــدة القــوانين المنظمة للحياة بين الناس بالحسنى والعدل وتحقيق السعادة لهم في دنياهم وأخراهم .

قال تعالى : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بهــا النبيون الذين أسلموا للذين هــادوا والربــانيون والأحبــار بمــا

استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (٤٤) وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (٤٥) وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وأتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين (٤٦) سورة المائدة .

قال تعالى : وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله لأولئك هم الفاسقون (٤٧) وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فأحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون(٤٨) المائدة .

بهذا يبين الحق سبحانه وتعالى سلامة كتبه علـــى أنبيائـــه ووحدتها في المنهج والعقيدة .

أما وقد اختلفت الآن لسبب أو لآخر فلابد وأن يكون وراء ذلك فاسق يستفيد من فعلته في تفريق وحدة الناس والكتب المنزلة على الأنبياء والدس فيها بما يحقق له المكاسب من وراء هذا وبما يحقق له السيادة على عقول فئات وجلب هبات يستفيد منها أو من ورائها من مطامع دنيوية ولم يع أنها محالة زائلة ويبقى له سوء عمله وما خطط له .

وينزل جبريل بوحي السماء على آخر رســل الله محمــد صلى الله عليه وسلم يخاطبه ويبين له حقيقة أهل الكتاب (التوراة)

قال تعالى : (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا مــن السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقــالوا أرنـــا الله جهـــرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد مـــا جـــاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينـــا [١٥٣] ورفعنـــا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهـــم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظـــا [١٥٤] فبمـــا نقضـــهم

ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم أنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا (١٥٥) وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما (١٥٦) وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨) الآية من سورة النساء .

ولما جاء (عيسى بن مريم) يبشر الناس ويهديهم بما أوحاه الله له في (إنجيله) صد الذين كفروا الناس عن طريق (عيسى) إلى الله ودعوته لهم بطاعة ربهم ثم تقولوا بالأكاذيب عن شخصيته وحاربوه وتآمروا به وآذوه حتى رفعه الله إليه .

ومر زمن وهم على عصيانهم للخالق ، فبعث الله محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل إلى البشرية ليكرر الدعوة والعودة إلى طريق طاعة الله دون سواه وعبادته وشكره دون سواه ، ولكن الذين كفروا ظلوا على عنادهم ومعاصيهم وقابلوا دعوة الإسلام والاستسلام للخالق وترك الآثام باستمرار رفض

طاعة الله وأثروا صد الناس عما يرضاه الله ، وشككوا البشرية في رسالة (عيسى) ورسالة (محمد) .

وجاء في القرآن الكريم تسجيل لانحرافهم هذا وكذبهم وموقفهم فقال تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا (١٦٣) ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما (١٦٤) رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (١٦٥) لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا (١٦٦) إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا (١٦٧) إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا (١٦٨) إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا (١٦٩) يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما (١٧٠) يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه

فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إلـــه واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (١٧١) لن يستنكف المسيح أن يكون عبـــدا لله ولا للملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا (١٧٢) فأما الذين آمنوا وعملـــوا الصـــالحات فيـــوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون من دون الله وليا ولا نصيرا (١٧٣) ســـورة النساء .

فالاستلام والإسلام لله كما شرح المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم اسم لما ظهر من عمال الإنسان لربه من صلاة وزكاة وصوم ..

والإيمان بالله اسم لما بطن من اعتقاد العبـــاد وبمعنــــى أن الإسلام هو الكلمة والإيمان هو العمل ، فالأعمال مـــن الإيمـــان والتصديق بالقلب من الإسلام ، كما جاء المعنـــى فـــي الحـــديث الشريف : حدث أبو هريرة رضي الله عنه قال كـــان صـــلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فاتاه رجل فقال : ما الإيمان : قـــال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وبرسله وتؤمن بالبعث .

قال : ما الإسلام ؟ قال : " أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان " .

قال : ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك قال : متى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها ، إذا ولدت الأمة ربتها[1] وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان ، وفي خمس لا يعلمهن إلا الله " ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت " سورة لقمان ٣١/ ٣٤ الآية .

ثم أدبر فقال : ردوه" فلم يروا شيئا : فقال : هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم " .

حقق الحديث ودونه الإمام البخاري في : ٢ كتاب الإيمان : باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام .

---

[1] ربتها : أي سيدها ، البهم جمع بهيم والجملة : أي رعاة الإبل السود

ومن لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا أتى النبـــي صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل إذا عملتـــه دخلـت الجنـــة ، قال : تعبد الله ولا تشرك به شــيئا ، وتقــيم الصـــلاة المكتوبة وتــؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا .

فلما ولى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا " .

حقق آلحديث ودونه الإمام البخاري في : كتاب الزكاة :
١- باب وجوب الزكاة

حديث عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمـــدا عبده ورسوله و أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاهـــا إلـــى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخلـــه الله الجنـــة على ما كان من العمل " .

وقد حقق البخاري سلامة سند الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودونه في : ٦٠ كتاب الأنبياء : ٤٧ – باب قوله يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق .

وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قـال : " بينمـا أنـا رديف النبي صلى الله عليه وسلم وليس بيني وبينه إلا آخر الرحل فقال : "يا معاذ " قلت : لبيك رسول الله وسعديك ! ثم سار ساعة ثم قال : "يا معاذ " قلت : لبيك رسول الله وسعديك ! ثـم سـار ساعة ثم قال: "يا معاذ " قلت : لبيك رسـول الله وسـعديـك ! ثم فقال : هـل تـدري ما حـق العبـاد على الله إذا فعلوه ؟ " .

قلت الله ورسوله أعلم ، فقال : حق الله علـى عبـاده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ بـن جبل : قلت لبيك رسول الله وسعديك فقال : هل تدري مـا حـق العباد على الله إذا فعلوه ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قـال : حـق العباد على الله أن لا يعذبهم " .

حقق الحديث ودونه البخاري في : ٧٧ كتاب اللباس .

رديف الراكب : خلف الراكب – أخرة الرحل : الجزء الذي يستند إليه الراكب .

لبيك : طاعة لك بعد طاعة – سعديك : مساعدة لك بعد مسـاعدة وطاعة .

فالتصديق والعمل يتناولهما الإيمان والإسلام ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى : "إن الدين عند الله الإسلام " ورضيت لكم الإسلام دينا"

" ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه " .

فأخبر سبحانه وتعالى أن الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام ، ولا يكون في محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل ، فالإيمان في اللغة هو التصديق والإيمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان .. والإيمان قول وعمل والتصديق يكمل بالطاعات .. طاعات أوامر المولى عز وجل واجتناب ما نهي عنه سبحانه وتعالى ، كلما ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل وبهذا يزيد الإيمان وبنقصان الأعمال ينقص إيمان المرء .

أما التصديق بالله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فلا ينقص لأنه كما فسر الإمام مالك : لا يجوز نقصان التصديق لأنه إذ نقص صار شكا وخرج عن اسم الإيمان إلى الكفر (انظر صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٦) .

والمؤمن الحق هو من أتى بهذه الأمـور الثلاثة :

التصديق بالقلب معرفة بربه الواحد سـبحانه ، والإقـرار باللسان بأن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسـول الله ، ثـم العمل بالجوارح بأن يقيم الصلاة ويؤتي الزكـاة ، وأن يصـوم رمضان ويحجّ البيت إن استطاع إليه سبيلا فالإيمان : قول وعمل (انظر صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٧) .

والإيمـان : هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبـه ورسـله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره هـذا بيـان أصـل الإيمان على أنه التصديق الباطن .

وإن أصل الإسلام هو الاستسلام الظاهر وحكم إسلام المرء يثبت بالشهادتين وإضافة الصلاة والزكاة والحج والصوم لكونهما أظهر شعائر الإسلام وبقيامه بها يتم استسلامه ، وتركها لها يشعر بانحلال قيد انقياده لله ، لان سائر الطاعـات ثمـرات للتصـديق بالباطن الذي هو أصل الإيمان ومقويـات وحافظـات للإيمـان وإطلاق اسم الإيمان على الأعمال متفق عليه بين الأئمة لاستنادهم إلى قوله تعالى : " وما كان الله ليضيع إيمـانكم إن الله بالنـاس لرؤوف رحيم (١٤٣) البقرة .

ولقد أجمع المفسرون أن المراد بكلمة إيمانكم هو صلاتكم .

ومن كمال الإيمان التصديق برسالات جميع أنبيائه ورسله الذين بعثهم لتصحيح حياة البشرية ونبذ عبادة غير الإله الواحد سبحانه وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى في القرآن الكريم : " إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا (١٥٠) أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا (١٥١) والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما (١٥٢) سورة النساء .

وفي عناد أهل الكتاب (التوراة) تناولت آيات القرآن الكريم وصفهم فجاء قوله تعالى : مخاطبا خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فقال : يسألك أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا (١٥٣) سورة النساء .

بطلان الإدعاء بصلب نبي الله عيسى ابن مريم :

وقال تعالى : " وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما (١٥٦) وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (١٥٩) فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا (١٦٠) وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما (١٦١) لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما (١٦٢) سورة النساء .

والكافرون دائما يكذبون رسل ربهم وما جاءوا به من أوامر السماء إليهم ولهدايتهم لما يرضاه خالقهم ، ويتطاولون على أنبيائهم ويؤذونهم ويدعون أن ما جاءوا به من أوامر هداية إنما هي من فكرهم وإبداع عقولهم وهي في حقيقتها قد جاءت بطريق

وحي السماء حملها ملك الوحي جبريل إلى أنبياء الله لتبليغها إلى البشرية وتبصيرهم بحقيقة دورهم في هذه الحياة ، عبادة الخـــالق دون سواه إحسان الأعمال وعدم إيـــذاء خلـــق الله بهـــذا ينـــال الصالحون رضا مولاهم سبحانه وتعالى وجزاؤهم كمـــا وعـــدهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها فنعم أجر العاملين بما ارتضاه وأمرهم به الواحد الأحد جل وعلا .

فالأنبياء ورسل الله حق والوحي السماوي حق .. وفي هذا جاء قوله تعالى: في سورة النساء من كتاب الله القـــرآن الكـــريم مخاطبا رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : "إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينـــا إلـــى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيســـى وأيـــوب ويونس وهارون وسليمان وآتينـــا داود زبـــورا[١٦٣]ورســـلا قـــد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك من قبل وكلم الله موسى تكليما[١٦٤]رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكـــون للنـــاس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما[١٦٥]لكن الله يشهد بما أنزل إليك بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شـــهيدا[١٦٦] إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا [١٦٧] إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا [١٦٨]

إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا (١٦٩) يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما (١٧٠) سورة النساء .

بهذه الآيات الكريمة من القرآن الكريم تتحدد رسالة جميع الأنبياء فقد اصطفاهم الله من بين عباده رسلا إلى البشرية مبشرين والصالحين بالجنة ومنذرين العصاة بما ينتظرهم من عذاب إذا أصروا على عنادهم وعباده غير الإله الواحد جل وعلا كما ترشد الآيات أيضا إلى أن الوحي السماوي يأتي بالنصائح والوصايا من صاحب الملك ويكلف بالاتصال بالرسل ثم يحملهم مهمة التبليغ والتحذير لأممهم ليحتاطوا وليكفوا آذاهم ويرجعوا إلى التصرف الأمن وهو طاعة الخالق فيما أمر ، فيا من تعصون الله ولا تعبدون إلها واحدا قد جاءكم محمد رسول ربكم يبين لكم فيه ما ضمه القرآن الكريم كتاب المسلمين المقدس الكثير مما كنتم تخفون من كتابكم التوراة والإنجيل فاتبعوا ما جاء في القرآن الكريم وصححوا بها ضلالات ما بثه المضلون في كتابهم المقدس أو محوه .

قال تعالى فـــي كتابه العزيز القـــرآن الكريم فـــي ســـورة المائدة : " يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيـــرا ممـــا كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم مـــن الله نـــور وكتاب مبين [١٥] يهدي به الله من اتبع رضـــوانه ســـبل الســـلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم [١٦] لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومـــن فـــي الأرض جميعا ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق مـــا يشاء والله على كل شئ قدير [١٧] وقالت اليهود والنصارى نحـــن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلـــق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير [١٨] يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقـــد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير [١٩] سورة المائدة .

وفي الآية الكريمة بيان أن الله اصطفى محمدا آخر الرسل والأنبياء وبعثه إلى أهل الكتاب التوراة والإنجيل اتبـــاع موســـى وعيسى يحذرهم وينبه آذانهم وليكون آية واضحة من رب العباد فلا يكون لهم عذر عدم علمهم حقيقة أن الإله واحد لا يعبـــد ولا

يشكر غيره على النعم ولا يصح لهم القول بعد بعثته أن يقولوا : لم يرسل الله رسولا يبشر بالجنة ونعميها ، والواجب عليهم معها الإسلام والاستسلام للمعبود الواحد وليكونوا بتعاليم القرآن الكريم مسلمين استسلاما تاما لا شبهة فيه بكفران المنعم المســتحق لأن يعبد وأن يشكر دون سواه وبلا شريك له في ملكه وخلقه لهذا جاء وتكرر التنبيه والتحذير من المولى عز وجل قال تعالى : " يــوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت عــلام الغيوب [١٠٩] إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليــك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهــلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمــة والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا ســحر مبين [١١٠] وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون [١١١] إذ قال الحواريون يا عيســى ابــن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقــوا الله إن كنتم مؤمنين [١١٢] قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين [١١٣] قال عيســى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنــا عيــدا

لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين (١١٤) قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين (١١٥) وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد (١١٧) إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١١٨) سورة المائدة .

ومن استبدل عبادة خالقه وشكره على ما أنعم عليه وزين له الشيطان عبادة غير الله استحق العقاب .

ومنذ بدء الخليقة عصى آدم وحواء أمر ربهم بعدم الاقتراب من الشجرة وأطاعا إغراءات إبليس وكان طاووس الملائكة فأكلا مما حرم الله عليهما ، وبذلك فقد فشلا في اختبار طاعة مولاهم وكان عقاب مولاهم لهم الطرد من نعيم الله في الجنة لجهة استقرار أخرى إلى حين يعلمه الله ، وكانت الأرض

هي مجال الاختبار الثاني الأخير لآدم وحواء وإبليس وذريته إلى وقت يعلمه المولى ينقضـــى ليبـــدأ حســـابهم .. إبلـــيس وقبيلـــه يوسوسون لبني آدم بالعصيان والخروج على ما أمر به الخـــالق ومصيرهم ومن تبعهم من ذرية بني آدم إلى جهـــنم دار العـــذاب الخالد ، أما الناجون من بني آدم الذين اختاروا طريـــق طاعـــة مولاهم سبحانه وتعالى فلهم الجنة خالدين فيها أبدا .

هذا ما جاء به وحي السماء فقال تعالى : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكـــافرين [٣٤] وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيـــث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا مـــن الظـــالمين [٣٥] فأزلهمـــا الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين [٣٦] فتلقى آدم مـــن ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم [٣٧] الآيات من سورة البقرة .

كما جاء في قوله تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورســـله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفـــر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلـــك ســـبيلا [١٥٠] أولئـــك هـــم

الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا (١٥١) والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما (١٥٢) سورة النساء .

وقال تعالى : (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليهم بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا (١٥٥) ويكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما (١٥٦) وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨) سورة النساء .

(فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا (١٦٠) وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما(١٦١) لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما (١٦٢) سورة النساء

ويخاطب الله سبحانه وتعالى آخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا (١٦٣) ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما (١٦٤) رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (١٦٥) لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا (١٦٦) إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا (١٦٧) إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا (١٦٨) إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا (١٦٩) يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما (١٧٠) سورة النساء .

والقرآن الكريم رحمة الخالق إلى خلقه بما اشتمل عليه من عبادات تبدأ بتوحيد الله بالربوبية ودعاءا بالرحمة على عبد الله وآخر رسله لهداية البشرية وصلاة لله تخشع فيها النفس لبارئها وتلتمس منه الرضا والقبول وزكاة تطهر فيها الأموال وتسعد

الفقراء وصوم فيه تهذيب للنفوس وحث على التواضع والشـفقة على العباد والبذل والعطاء ثم قصد لمن يتيسر إليه السـبيل إلـى بيت الله الحرام في مكة خشوعا لله وطمعا في غفرانه وزيادة في مرضاته وحسن شكره وشعورا بالمساواة بين الأغنياء والفقـراء أمام الله ومعاملات تنتظمها الأحكام والقوانين التي تنظم الحياة بين العباد وتهدي إلى الرشد وتصون النفس مـن الضـلال فـالقرآن الكريم حجة صاحب الملك على البشرية فلا تصح لهم معه أعذار جهل بأحكام الخالق وأوامره ونواهيه وإرشاداته وتتعاقب الأجيال وهو في حفظ الله كما شاءت إرادته سبحانه حتى يلقـاه الخلـق فيحاسبهم سبحانه يوم حسابهم العظيم فإن شاء عفا عما شـاء أو يعـاقب إن أراد لمـن أراد ، سـبحانه له الأمـر كله من قبـل ومن بعـد والحمد لله .

قال تعالى : (الحمد لله الذي أنزل على عبد الكتـاب ولـم يجعل له عوجا [١] فيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا [٢] ماكثين فيه أبدا [٣] وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا [٤] مالهم به من علم ولا لآبـائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولـون إلا كـذبا [٥] سـورة الكهف .

(إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار ويطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤) ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين (٥٥) ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين) (٥٦) سورة الأعراف

ثم يوجه القرآن الكريم الخطاب إلى الفئة التي كذبت على الله وعلى الناس بأقوال وتفاسير ضالة مضلة وليحققوا لأنفسهم مالا في الدنيا ومنزلة وسلطانا ويرد عليهم بقوله تعالى : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خير لكم إنما الله إله واحدا سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (١٧١) لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا (١٧٢) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم

عــذابا أليمـــا ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (١٧٣) سورة النساء .

ثم تكمل الآية الكريمة صورة هؤلاء الجاحدين لنعمـــة الله عليهم المتقولون على أنبيائه بالأكاذيب بقوله تعالى : (فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين (٦٣) قل يا أهل الكتاب تعالوا إلـــى كلمـــة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شــيئا ولا يتخــذ بعضنا بعضنا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشــهدوا بأنـــا مسلمون (٦٤) آل عمران .

اشهدوا بأنا مسلمون إلى الله بحســن الأعمـــال والأقـــوال قائمون على عبادته سبحانه نرجو عفوه ورضاه نرجو أن يتفضل بقبول أعمالنا ولا يحرمنا جنته ونعيمها الذي ليس لـــه نهايـــة أو زوال وبهذا دعا دين الإسلام ورسول الخالق سبحانه وآخر أنبيائه محمد قولا وفعلا ونشرا لآخر كتب الله القرآن الكريم إلى خلقه في مشارق الأرض ومغاربها وتبصيرا وإرشادا إلى الحــق الواحــد المنزه عن الولد والشريك ليس له في ملكه صاحبة ولا ولد بل له وحده جل وعلا فضل الخلق والسلطان وله الملك والملكوت دون سواه ولكن تعمد نفر من أهل الكتاب بالتقول كذبا وإقناع النـــاس

باطلا بنسبة نبي الله إبراهيم إلى اليهودية والنصرانية لغرض دنيوي وقد أخذوا يلبسون الحق بالباطل ويكتمون في نفوسهم الحقيقة وهم يعلمون كذب ما يقولون وقد تصدى لهم القرآن الكريم ورد عليهم كذبهم فجاء قوله تعالى : (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون (٦٨) قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون (٦٩) متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون (٧٠) سورة يونس .

وقال تعالى : (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم (٧٦) سورة المائدة .

وقال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم وإنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢) سورة المائدة .

أما الحكم على المؤمنين فجاء في قوله تعالى : (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب و الحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين (١٦٤) سورة آل عمران .

وقال تعالى : (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون (٣٠) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون (٣١) يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون (٣٢) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٣٣) الآيات سورة التوبة .

وعلى ما تقدم فأنبياء الله أخوة دينهم واحد لشريعة سماوية واحدة من إله معبود واحد جل شأنه ، وجميع أنبياء الله ورسله جاءوا يحذرون بني آدم من عصيان المعبود الخالق والتمسك بدين مؤداه أن يسلم البشر لله القياد إسلاما مطلقا بكل الجوارح عملا وصلاة ودعاء ورجاء وطمعا في رحمته سبحانه وتعالى .

قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب [١٣] سورة الشورى .

وقال عز من قائل : (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) [١٥] سورة النمل .

ثم جاء نفس المعنى لبيان رسالة آخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم .

في قوله تعالى : (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا [١] قيما لتنذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا [٢] ماكثين فيه أبدا [٣] وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا [٤] ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا [٥] سورة الكهف .

ولكنها فئة ضالة مستمرة مع الأيام تتعمد إبعاد الناس عن علاقة الخالق والمخلوق استحوذ عليهم الشيطان فأصبحوا يعملون بأمره لتحقيق هدفه الوحيد في الحياة الدنيا ألا وهي غواية بني آدم والإيقاع بهم في معصية الخالق على الدوام فآثروا تعمية الحقائق عن الإفهام ووجدوا الاستجابة والطاعة فحققوا من ورائها المال والجاه وأبهة السلطة الدينية التي تأمر وتتقول على الأنبياء وتكذب ، ودائما نرى أن الداعين لعبادة الموجود الواحد مستهدفين بالعداء والهجوم الشرس من خدام الأصنام والتي أحاطوها بهالات التمجيد وشعائر والخضوع والطقوس والعطور والبخور والترانيم يتوهمون ويوهمون الناس ومن حولهم أنهم وسائل الاتصال بمن رفعوه وصنعوه إلها وأحاطوه بالشموع ووجهوا الناس للخشوع أمامه والسجود والتوسل! .

إنهم فئة قد ذاقت حلاوة التكسب المضمون فلبسوا لذلك الزي المناسب وتأنقوا ومد لهم الشيطان أسباب الغواية والضلال فلعبوا فيما أنزل الله في كتب أنبيائهم من ذكر الله ووجوب عبادته دون شريك .. وتجمعوا واتحدوا لمحاربة كل داع إلى طريق مرضاة الله الواحد .. دعي (اخناتون) إلى عبادة الواحد فرماه رجال الدين بالكفر والضلال ، ودعي (موسى نبي الله) إلى عبادة

الواحد فخالفوه وصنعوا عجلا بأيديهم ثم عبدوه !! (ولما بعث الله عيسى ابن مريم) هاديا ومرشدا ومنذرا من عواقب عبادة غير الله نعتوه بأبشع الصفات مع أمه (مريم ابنة عمران) وهي الشريفة القانتة العابدة لله الواحد جل وعلا .

فاجتمع رجال الهيكل اليهودي لمتابعة عيسى بن مريم والقبض عليه وتقليب السلطة الرومانية السياسية عليه ليبرروا بعدها لأنفسهم أسباب الإمساك به مقررين صلبه ، وخاب كل ما رسموه وقرروا فقد رمى الله بشبهه على واحد منهم فصلبوه ورفع الله نبيه عيسى إلى السماء العلا ، وجاء آخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم على نفس النهج يدعو إلى الواحد فحاربه كل رجال الأديان الوثنية بأصنام شتى ومعاذير ومكائد ومحاربة ، ونصر الله عبده ورسوله إلى البشرية هاديا ومنذرا وشاءت قدرته أن يكون محمد (ص) آخر الأنبياء والرسل والإسلام آخر الرسالات السماوية للبشرية ، والقرآن الكريم آخر كتب الله إلى خلقه حوى الآيات والأحكام والشرائع والأوامر الإلهية كلها السابقة على الإسلام في التوراة والإنجيل ومزامير داود وألواح موسى وما نزل على نوح والأنبياء ليكون الكتاب الخاتم الذي أراد له الله السلامة من كل تلاعب على مر العصور إلى أن يرث الله الأرض

ومن عليها فحفظه وكتب له الصيانة فقال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) سورة الحجر (٩) وهذا هو الحاصل رغم كل محاولات الكفرة من بث عوامل هجر قراءته والعمل بما جاء به من أحكام لا يستقيم حال البشرية إلا بتنفيذها ، ولـــن يضـــروا الإسلام مهما فعلوا وسيبقى حجة عليهم وعلـــى عـــدم طـــاعتهم وإصرارهم على معصيتهم وابتعادهم عما أمر الله به عباده مـــن إعلان توحيدهم والربوبية ، ولا زالت جماعات من بني آدم على طريق التصميم على الكفـــر بـــالحق وإلباســـهم لـــه بالأباطيـــل والافتراءات ، وتدور الحوارات كفرا بالمعبـــود الواحـــد إلـــــى التسليم بألوهية هوام ونجوم ونيران وأحجـــار.. تملـــك إبلـــيس وذرياته أبدانهم وطمس عقولهم فألغاها ، وأعمى عيـــونهم عـــن مظاهر قدرة الله في كونهم فبدلا من الإيمان بالخـــالق وعبادتـــه وشكره انصرفوا إلى غيره وادعوا باطلا بفضل غيـــره علـــيهم فتاهوا إلى مصير عذاب شديد من ربهم .

ويبقى المحظوظ من يبرأ بنفسه من عبادة غير الله المـــنعم خالق الخلق والكون يخاف عقابه ويستغفر عند سماع قوله تعالى: (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون [٨٣] قل أمنا بالله وما أنزل علينا وما أنـــزل

على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون [٨٤] آل عمران ج ٣ القرآن الكريم .

ومن لوازم كمال الإيمان في الإسلام بعد الإيمان بالله الواحد وملائكته وكتبه إيمان بجميع رسله سبحانه .

وهذه ترجمة في نبي الله عيسى ابن مريم :

الثابت هو أن عيسى ولد في وسط يهودي فلسطيني متواضع حوالي سنة ٤ ق . م وقد لقب عيسى بالمسيح ومعناه الصديق ، وروى ابن عباس أنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ فكأنه سمي مسيحا لذلك ، والاسم فيما يقال معرب وأصله الشين ، وقيل : لأنه ممسوح بدهن البركة وكانت الأنبياء تمسح به وهو طيب الرائحة ، وقيل سمي بذلك لأنه مسح بالطهر من الذنوب .

وقال ابن الأعرابي : المسيح الصديق والمسيخ الأعور وبه سمي الدجال .

(وقيل المسيح أصله بالعبرانية مشيحا" بالشين فعرب كما عرب موشى بموسى وأما الدجال فسمي مسيخا لأنه ممسوخ إحدى العينين) .

وتذكر الروايات أن المسيح قضى طفولته وشبابه في الناصرة القرية الجليلية البسيطة حيث لا يستبعد اشتغاله بالتجارة إلى حدود الثلاثين ، ومن المرجح أنه بمغادرته قريته وأسرته وبيئته الأولى كان للالتحاق بيوحنا المعمدان في الصحراء .

ويجدر بنا تبعا للمعلومات المتوفرة عن شخص نبي الله عيسى عليه السلام في المصادر الإسلامية إلى ما يحدد صفته الخلقية وسنه وزمنه فمن حديث الإسراء تعلم أن نبي الله عيسى كان رجلا مربوع الخلق يضرب إلى الحمرة والبياض بين القصير والطويل، آدم كأحسن ما يرى من آدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه ، رجل الشعر أو سبطة كثير خيلان الوجه كأنه خرج من ديماس – كأن رأسه تقطر ماء وما به ماء أشبه من يكون بعروة بن مسعود الثقفي [1] واختلف في سنه وفي تحديد زمن حياته عليه السلام فقد عاش اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر عند بعضهم

---

(1) انظر تفسير القرطبي ١٥/٥ ، ١٦ ه

وثلاثة وثلاثين سنة عند آخرين[1] بينما بلغ من العمر مائة وعشرين عاما في رأي ثالث بناء على أن النبي (ص) مات في الستين وقال في العام الذي مات فيه ليس من نبي إلا عمر نصف عمر الذي كان قبله وإن عيسى أخي كان عشرين ومائة سنة[2] ورأي آخر يفيد أنه بعث لأربعين ومكث في قومه أربعين عاما[3] أي أنه بعث في نفس السن – المعيار – الذي بعث فيه محمد (ص) وقد يكون أحد أسباب الفروق بين هذه التقديرات هو عدم الاعتناء بذكر بداية هذه الفترة ، هل هي ولادة عيسى أم بعثته أم رفعه وكذلك نهايتها أهي ولادة الرسول (ص) أم بعثته أم هجرته أم وفاته .

وقد اختلفوا في الوفاة والرفع هل المقصود بالتوفي الموت أم تمام مدة بقائه على الأرض (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (٥٥) آل عمران .

---

[1] تفسير الطبري ٣/ ٢٧٨

[2] تفسير الطبري ٣/ ٢٦٤

[3] تفسير الطبري ٢ / ٢٩١

وقال تعالى : (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨) سورة النساء .

كما اختلفوا في المقصود من الرفع هل هو رفع الجسد أم رفع المكانة كما في قوله تعالى عن إدريس عليه السلم (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا (٥٦) ورفعناه مكانا عليا (٥٧) أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (٥٨) سورة مريم .

وليس فيما ذكره القرآن الكريم عن حياة عيسى ومعجزاته وحوارييه كبير اختلاف عما ذكرته أناجيل النصارى وكتبهم .

وبعد بيان موقف الإسلام واعترافه بالرسالات السماوية التي تجمع بينها جميعا أهم الأهداف ألا وهي عبادة الله الإله الواحد دون اعتقاد شريك للمولى في ملكوته .

ولنا بعد هذا أن نتناول موقف الإسلام والمسلمين من الإنجيل ثم نتبعه بفصل أخير نتناول فيه الإنجيل عند النصارى وذلك ليتضح للقارئ سماحة الإسلام من الأديان وموقفه لمن أراد أن يهتدي أو يعاند متبعا ما تمليه عليه الشياطين من العصيان وغفلة تستمر معه حتى توصله إلى غضب الله عليه ثم إلى جهنم وبئس المصير والمعاندون في سلوكهم هذا وعصيانهم لن يضروا الإسلام شيئا ، إنما النفع يعود دائما على من اهتدى وأصلح العمل وأخلص العبادة للخالق الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له شبيه ولا مثيل ليس كمثله شئ في الأرض ولا في السماء وهو العلي القدير سبحانه وتتوارد المعاني لترفع عقيدة التوحيد مرة بعد مرة .. وحدانية تلغي ما عداها وما دس من مغالطات .. وحدانية توجب اعتراف البشرية بها فلا تحيد عنها وقد جاء بها القرآن الكريم وتتناثر في النصوص المسيحية .

ونسوق ما ورد منها في الإصحاح الرابع من إنجيل (متى) بما نصه :

(ثم أخذه إبليس إلى جبل عال جدا وأراه ممالك العالم ومجدها ، وقال له : أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي

حينئذ قال له يسوع : اذهب يا شيطان ، لأنه للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ، ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه .

وفي إنجيل لوقا الإصحاح الرابع ما نصه : قال إبليس ليسوع يا ابن الله قل لهذا الحجر أن يصير خبزا ، فأجابه يسوع قائلا : ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة من الله .. اذهب يا شيطان ، إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد .

وفي الإصحاح الثاني عشر من إنجيل مرقص ما نصه : قال يسوع إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل : الرب إلهك رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك .. وثانية : مثلها هي تحب قريبك كنفسك ، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين فقال له الكاتب : جيد يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه .

وفي الفصل السابع من إنجيل (برنابا) ما نصه : قال يسوع إن الله صلاح بدونه لا صلاح إن الله موجود بدونه لا وجود ، وأن الله حياة بدونه لا أحياء ، وهو عظيم حي حتى أنه

يملأ الجميع ، وهو في كل مكان ، وحده لا ند له ولا بداية ولا نهاية ، ولكنه جعل لكل شئ بداية وسيجعل لكل شئ نهاية ، لا أب ولا أم له ولا أبناء ولا أخوة ولا عشراء .. لا ينام ولا يموت ولكنه يدوم إلى الأبد بدون شبيه بشري .. ، وبالاختصار أقول لك يا (فيلبس) : إنه لا يمكنك أن تراه .

وفي الفصلين الثاني والتسعين والثالث والتسعين من هذا الإنجيل ما نصه :

(قال يسوع مخاطبا الجمهور الذي قال : (مرحبا بك الهنا)، وأخذوا يسجدون له كما يسجدون لله رد عليهم يسوع : (انصرفوا عني أيها المجانين لأني أخشى أن تفتح الأرض فاها ، وتبتلعني وإياكم لكلامكم الممقوت) ، ثم قال : إنكم قد ضللتم ضلالا عظيما أيها الإسرائيليون ، لأنكم دعوتموني إلهكم وأنا إنسان ، لعن الله الشيطان الذي أغراكم بهذا ألف لعنة (أشهد أمام السماء واشهد أمام كل شئ على الأرض أني برئ من كل ما قلتم لأني إنسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضه لحكم الله ، تكابد بشقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر ، ومتى جاء الله

ليدين يكون كلامي كحسام يحرق من يؤمن باني أعظـــم مــن إنســــان) .

ونحن نكتفي بما نقلنا من الإنجيل في ثبوت الوحدانية بها لله تعالى ونفي الشريك له سبحانه .

سبحانه : " ما اتخذ الله ولدا وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما يخلق ولعلا بعضهم على بعـض سـبحان الله عمـا يصفون " الآية (٩١) سورة المؤمنون .

و للحديث بقية تم بتوفيق الله ومشيئته ...

دكتـور / محمد عبد السلام كامل العـدوي

ثبت بأهم المراجع والمصادر

- القرآن الكريم
- في ظلال القرآن
- صحيح مسلم
- صحيح البخاري
- تفسير القرطبي
- قصص الأنبياء لابن كثير
- القاموس المحيط – للفيروز بادي
- الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد " دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط طبعة ١٩٨٢ " .
- الأناجيل الأربعة .
- النجـــوم الزاهرة (لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي ٨٧٤ هـــ طبعـــة دار الكتب ٣١٩٣٨)

